الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة التاسعة والثلاثون
صفر ١٤٤٧هـ
آب ٢٠٢٥م

العدد
٤٦٩

كلمة الوعي

مشكلة سوريا.. المأزق والحل.

محمد سعيد العبود

طريقة إدارة ترامب في معالجة النزاعات الخارجية.

أحمد الخطواني

الاستطاعة وأثرها في وجوب إعلان قيام الدولة الإسلامية وإقامة الشريعة

ثائر أحمد سلامة

الأمة كيان حي لا يموت... وقبل المولود لا بد من مخاض.

عبد المحمود العامري

تاريخ الشعوب وصفاتها واتفاقها ونزاعها: من لوازم الفهم السياسي ورسم السياسات.

لقمان حرزالله

كيف تحوَّل أمير الجهاد إلى وزير خارجية؟

يوسف أرسلان

الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة الوعي: مشكلة سوريا.. المأزق والحل — محمد سعيد العبود — ٣
- الاستطاعةُ وأثرُها في وجوبِ إعلانِ قيامِ الدّولةِ الإسلاميّةِ وإقامة الشريعةِ من العجزِ المانعِ إلى القدرةِ المُسقِطَةِ للعذرِ — ثائر أحمد سلامة. — ٥
- لوازم الفهم السياسي ورسم السياسات (٤) تاريخ الشعوب وصفاتها واتفاقها وصراعها — لقمان حرزالله — ١٣
- طريقة إدارة ترامب في مُعالجة النزاعات الخارجية — أحمد الخطواني — ٢٠
- الأمة كيان حيٌّ لا يموت... وقبل المولود لا بد من مخاض — عبدالمحمود العامري — ٢٣
- كيف تحوّل أمير الجهاد إلى وزير خارجية؟ — يوسف ارسلان — ٣٢
- مشروع طريق التنمية ونظام «تي. آي. آر» (TIR) مشروع استعمار اقتصادي بواجهة استثمارية — بهاء الحسيني — ٣٥
- تغير السلوك بتغير المفاهيم الخنساء مثالا. — ريان عيسى — ٣٧
- بهداهم اقتده: الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه... — مؤنس حميد — ٤٠
- مع القرآن الكريم: تأملات في سورة العصر — راسم ابو مأمون خاطر — ٤١
- أخبار المسلمين في العالم — ٤٤
- كلمة أخيرة: فتنة غزة — ٥١
- غلاف أخير: نداء للأمة وجيوشها:غزة تنادي فمن يلبي وينتصر لحرمات الله؟ — ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة سوريا.. المأزق والحل

محمد سعيد العبود

بعد أن أكرمنا الله عز وجل بإسقاط بشار بعد صمود الثوار الصادقين ورفضهم كل محاولات التطبيع معه استجد وضع جديد من الفراغ السياسي والأمني فُرض على أمريكا والنظام الدولي، وهو محاولة الإتيان بنظام جديد يجعلونه قادرا على ملء هذا الفراغ ويستطيعون من خلاله أن يخدعوا الأمة ردحا آخر من الزمن.

فكان أن تعاملت أمريكا مع الواقع الجديد بمرونة خبيثة، فأعلنت مساندتها لقائد هيئة تحرير الشام بديلا عن بشار الأسد لكونه القوة الأقوى في الثورة والأكثر تنظيما والأقدر على الإمساك بالوضع السوري الجديد، وقد سبق له تجربة حكم مصغرة عبر حكومة الإنقاذ في إدلب، أقيم بعد تصفية الفصائل والاقتتالات المتكررة التي راح ضحيتها الآلاف.

وهذا ما يروق لأمريكا ويعطيها الثقة بمن يشكل نموذجا للأنظمة الواقعية أيضا، وخاصة بعد إعلانه التخلي عن الجهاد العالمي وأممية الإسلام إلى القطرية، وبعدما أبدى استعدادا لتطبيق نظام حكم واقعي براغماتي يساير النظام الدولي ويلبي متطلبات الواقع المحيط به من دول عربية متناكفة وكيان يهود الطامع، كما أنه مستعد لاستيعاب التناقضات الداخلية من طائفية وعرقية وجماعات علمانية ودينية بمذاهب ومشارب مختلفة ومطالب الثوار وتطلعاتهم إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، كل هذا المشهد المتناقض حول سوريا وبداخلها، والذي لا يمكن بحال من الأحوال التوفيق بين هذه المتناقضات التي ظن أحمد الشرع أنه قادر على اللعب على أوتارها ومسايرة أتباعها على غرار الحكم في تركيا رغم اختلاف الواقع بين تركيا وسوريا جذريا، ما أدخل سوريا في مأزق شديد التعقيد.

إن الذي دفع الرئيس السوري للمرحلة الانتقالية إلى هذا الخيار الخاطئ والمأزوم هو اختياره البحث عن رضا الدول التي تآمرت على ثورة الشام، والتي كانت تدعم المجرم بشار قبل سقوطه وعلى رأسها أمريكا، والخضوع لإملاءاتها وتوجيهاتها في الوقت الذي أدار ظهره لحاضنة الثورة السند الطبيعي القوي، وكذلك انقلب على ثوابت الثورة وعلى رأسها إقامة حكم الإسلام بعد إسقاط النظام المجرم.

إن غياب المبدئية لدى أحمد الشرع واعتماد سياسة تقوم على المصلحة العقلية التي هي عين البراغماتية وافتقار إدارته إلى تصور الحل الإسلامي وضعف اليقين بموعود الله سبحانه بالنصر والتمكين تُعدّ أيضا سببا من أسباب سياسته المتبعة في سوريا.

إن عدم امتلاك المشروع الإسلامي الكامل والواضح الذي يحمل الحل فكرة وطريقة، والجهل بالواقع السياسي للعالم بشكل عام والأمة الإسلامية بشكل خاص، وعدم إدراك قوة الأمة الإسلامية وقدرتها على مواجهة التحديات واستخدام هذه القدرة في مواجهة أعداء الإسلام يوقع السياسي

فريسة للشعور بالضعف والعجز ويجعله يفرّط بمكامن القوة التي تمتلكها الأمة، ما يجعله يتردى في مستنقع التبعية المطلقة للدول التي يظن أنها قادرة على دعمه وحمايته، ولكنه بذلك يتردى في مستنقع العمالة ويفقد سنده الطبيعي الذي يدعمه وقت الشدائد.

إن حصر التفكير في النطاق الوطني أهدر طاقات الأمة الإسلامية في حل مشكلاتها وعطّل دور سوريا في أن تكون نقطة ارتكاز لإقامة الخلافة على منهاج النبوة.

إن الحل الجذري في سوريا وغيرها يكمن في تطبيق شرع الله سبحانه وتعالى وإقامة حكمه، وهذا أمر ميسور ومقوماته متوفرة؛ من مشروع سياسي يحمله حزب سياسي هو حزب التحرير قادر وأهل لقيادة الأمة وتحمل المسؤولية واتخاذ القرارات الشجاعة والصائبة التي تخرج سوريا والأمة جمعاء من هذا المأزق والتبعية للغرب.

ومن المقومات لذلك أيضاً أمة الإسلام وما فيها من حشود كبيرة تطلب مرضاة ربها وتتوق إلى العز وتشتعل في داخلها جذوة الجهاد، إلى إمكانات كبيرة وعتاد كافٍ لمواجهة العدو، وفيها البلد الواسع ذو الخيرات والإمكانيات المادية من الطاقة والغذاء والماء والثروات.

إن هبّة أهل ثورة الشام يوم غدر الفلول في الساحل بالمجاهدين، وهبّة القبائل العربية في سوريا بل وفي العراق والأردن والخليج فزعةً لإخوانهم المسلمين من البدو في السويداء عندما غدر بهم بعض الدروز، لتدل دلالة واضحة على إمكانية تحريك قوى الأمة الإسلامية والاستنصار بها وفتح الحدود بل إلغائها مع الدول المجاورة واستقدام ملايين المجاهدين لمواجهة أمريكا وربيبتها كيان يهود وأدواتها في المنطقة، بالمبادرة في القضاء على الأدوات الداخلية، والدخول في حرب شاملة مع كيان يهود الذي بادر بالعدوان عندما دمر أسلحة الجيش السوري، وتحريك أهل فلسطين من الداخل ومسلمي مصر والأردن ولبنان كل من جهته ما سيسقط في أيدي الأنظمة العميلة ويؤدي إلى إسقاطها فعلا.

قد يرى بعض ضعاف الإيمان والثقة بوعد الله ونصره أن هذا الطرح ضرب من ضروب الخيال لكن حصل في تاريخ الأمة الإسلامية أمثاله الكثير من المعارك والمواجهات التي انتصر فيها المسلمون على أعدائهم من الروم والفرس.

على أننا إذا لم نقم بالاعتماد على قدراتنا وإمكاناتنا متوكلين على الله وحده فإن أمريكا وكيان يهود لن يتركونا ولن تنتهي طلباتهم العدوانية حتى يجعلونا في حالة شلل، فاقدي الإرادة والقرار، فمواجهتهم حتمية، وهي الحل الأمثل، مسترشدين بنهج النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، مطبقين شرع ربنا ومقيمين للدين بإقامة دولة الإسلام العظيم الذي فيه فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة، وخلاصنا من ربقة التبعية للكفار.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.■

الاستطاعةُ وأثرُها في وجوبِ إعلانِ قيامِ الدّولةِ الإسلاميّةِ وإقامة الشريعةِ من العجزِ المانعِ إلى القدرةِ الـمُسقِطَةِ للعذرِ

دراسة في الفقهِ السياسيِّ لمرحلةِ انتقالِ الثورةِ السوريةِ إلى دولةٍ، بين مبرراتِ العجزِ ومقتضياتِ الواجب

ثائر أحمد سلامة.

تعدُّ الاستطاعةُ - أي القدرةُ والإمكانُ - من المفاهيمِ المحوريةِ في الشريعةِ الإسلاميةِ، إذ يتوقفُ عليها التكليفُ الشرعي ومجالُ تطبيقِه. وقد قضى الله تعالى ألّا يكلِّفَ العبادَ إلا بما يقدرون عليه، فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾، وأكدت السُّنَّةُ هذا الأصلَ في قولِه ﷺ: «**ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتم**». فالخطابُ الشرعيُّ مقيَّدٌ بالوسعِ والاستطاعةِ؛ فلا مؤاخذةَ على العاجزِ، ولا عذرَ للمستطيعِ المتقاعسِ.

وتتجلى أهميةُ هذا المفهومِ في جميعِ أبوابِ التكليفِ: من العباداتِ الفرديةِ والرخصِ الشرعيةِ، إلى المعاملاتِ، وصولًا إلى الواجباتِ الجماعيةِ الكبرى، كالجهادِ وإقامةِ الدولةِ. وهنا تبرز الإشكاليةُ: كيف نحددُ أن الاستطاعةَ موجودةٌ، ويترتبُ على ذلك وجوبُ الإقدامِ على إعلانِ الدولةِ بلا تأخيرٍ، أو أن نقولَ بوجودِ العذرِ، فما هو الواجبُ الشرعي وقتَها؟ يعني هل نعلنُها دولةً علمانيةً ونسلمُ زمامَ الأمورِ لأمريكا إذا كنا معذورين؟

في هذا البحثِ الاستقصائي سنحللُ دلالةَ الاستطاعةِ في القرآنِ والسنةِ، ونفرقُ بين استطاعةِ الفردِ واستطاعةِ الجماعةِ والدولةِ والأمةِ، لنقفَ على أثرِها في الفقهِ السياسيِّ وحكمِ إقامةِ الدولةِ وتطبيقِ الشريعةِ. وسنناقشُ نقدًا موضوعيًا لاستخدامِ العجزِ ذريعةً للقعودِ، مبينين أن الإسلامَ لا يطالبُ بالمستحيلِ، لكنه يأمرُ بالسعيِ لتحصيلِ القدرةِ الممكنةِ.

وعلى أرضِ الواقعِ، سنستعرضُ نموذجًا معاصرًا هو انتقالُ الثورةِ السوريةِ إلى كيانِ الدولةِ تحت حكمِ أحمد الشرع، في ظرفٍ أنهكته سنواتُ الصراعِ الطويلِ، وهدمُ المدنِ، وتوارثُ الاستبدادِ، ثم جاءت ضرباتُ الكيانِ الصهيوني لمخازنِ الأسلحةِ والصناعاتِ الحربيةِ لحرمانِ القيادةِ من مقوماتِ القوةِ. ورغم ذلك، برز أثرٌ إيجابي بالغُ الأهميةِ، تَمثَّل في التفافِ الجماهيرِ حول مشروعِ التغييرِ وحرصِهم على ألّا تعودَ الأمورُ إلى سابقِ عهدِها، ما منح الدولةَ رصيدًا شعبيًا هائلًا يصعبُ معه اختراقُها أو إسقاطُها بالمؤامراتِ.

هذا التباينُ بين الضغوطِ الماديةِ الخانقةِ والدعمِ الشعبي اللامحدودِ يكشفُ أن الاستطاعةَ ليست مجردَ قدرةٍ ماديةٍ، بل هي – في جوهرِها – ثمرةُ وعيٍ جماعيٍّ وعقيدةٍ

تجمع الصفوفَ، وتصنعُ للدولةِ مناعتها من الداخلِ قبل الخارجِ.

ينبغي في دراسةِ مسألةِ الاستطاعةِ عدمُ اختزالِها في القدرةِ الفرديةِ أو حصرِها في القوةِ العسكريةِ الماديةِ، وكأن الفردَ المكلَّفَ هو من سيخوضُ حربًا مع قوةٍ عظمى! أو كأن الخصمَ لن يتعاملَ مع الدولةِ الناشئةِ إلا بحربٍ شاملةٍ. فالاستطاعةُ التي يُعتدُّ بها شرعًا أوسعُ أفقًا، إذ تشملُ النظرَ في مجموعِ عناصرِ القوةِ التي تملكُها الأمةُ أو الدولةُ، وفي طبيعةِ الصراعِ وأشكالِه، وفي احتمالاتِ الردودِ وسيناريوهاتِها.

وثيقةُ المفاهيمِ التأسيسيةِ في منهجِ إقامةِ الدولةِ الإسلاميةِ:

مدخل

إنَّ إقامةَ الدولةِ الإسلاميةِ ليست عملًا ارتجاليًّا ولا خطوةً تجريبيةً تُتَّخذُ تحت تأثيرِ الانفعالاتِ السياسيةِ أو الموجاتِ الثوريةِ، بل هي عمليةٌ شرعيةٌ مركبةٌ، تخضعُ لسننٍ مجتمعيةٍ ثابتةٍ وقوانينَ تاريخيةٍ مطَّردةٍ، كما تخضعُ في الوقتِ نفسه لأحكامٍ قطعيةٍ في الشريعةِ لا يجوزُ تجاوزُها ولا التحايلُ عليها. وإنَّ كلَّ تجربةٍ تُقصي هذه السننَ أو تُهملُ تلك الأحكامَ مصيرُها إلى الإخفاقِ أو الانحرافِ عن غايتِها، ولو حققت إسقاطًا لسلطةٍ أو نظامٍ قائمٍ.

المفهومُ الأوّل: سننُ التغييرِ المجتمعيِّ وأثرُها في بناءِ الدولةِ

لقد دلَّ الاستقراءُ التاريخيُّ والشرعيُّ على أنَّ تغييرَ المجتمعاتِ وأنظمةِ الحكمِ يخضعُ لسننٍمجتمعيةٍ ثابتةٍ، لا تتبدلُ ولا تتحولُ، قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. وهذه السننُ لا تعملُ خبطَ عشواء، بل وفقَ قواعدَ موضوعيةٍ؛ منها: أنَّ الدولةَ الناشئةَ تكونُ امتدادًا طبيعيًّا للكيانِ المجتمعي الذي نشأت فيه، وأنَّ السلطةَ فيها تعكسُ سلطانَ الأمةِ وقناعاتِها وأفكارَها ومقاييسَها. وكذلك تراعي السننُ دراسةَ واقعِ المجتمعاتِ على حقيقتِها الفعليةِ، لدراسةِ تفاعلِها مع الدعوةِ.

فمثلًا: تلك المجتمعاتُ التي صنعَ الكافرُ المستعمرُ ثقافتَها وعلاقاتِها على عينِه عبرَ عشراتِ السنين، وجعلَ مواضعَ التحكمِ في السلطةِ فيها في مكامنَ معينةٍ، وفيها أفكارٌ معينةٌ، تحتاجُ صراعًا فكريًّا معينًا، فتعالجُ بما يلزمُ من أفكارٍ ووسائلَ وأساليبَ، كلُّ هذا يفضي إلى نشوءٍ طبيعي للدولةِ بسندٍ مجتمعي قويٍّ. ومن هنا، فإنَّ أيَّ التفافٍ على هذه السننِ، كالوصولِ إلى الحكمِ عبرَ انقلابٍ عسكري أو تدخّلٍ أجنبي، أو دونَ إعدادٍ مجتمعي فكري وعَقَدي، سيُنتجُ دولةً هزيلةَ البنيانِ، آيلةً للسقوطِ، لا تقومُ أركانُها إلا بقوةِ العسكرِ أو المحتلِّ. وهذه الدولةُ لن تستطيعَ الصمودَ أمامَ الحصارِ أو الحربِ أو صعوبةِ العيشِ إلا بتنازلاتٍ جذريةٍ تمسُّ جوهرَ هويتِها، وتفقدُها القدرةَ على التحولِ إلى دولةٍ إسلاميةٍ في المستقبلِ.

المفهومُ الثاني: لا مساومةَ على قضيةِ

الحكمِ، وحرمةُ الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ الله أحكامُ الشريعةِ القطعيةُ في بابِ الحكمِ والسياسةِ الموجبةُ لتحكيمِ شرعِ الله حصرًا وقصرًا، لا تَقبلُ التدرجَ ولا المساومةَ، ولا انتقاءَ بعضِها دونَ بعضٍ، وهي مُلزمةٌ؛ حيث إن الحكمَ بغيرِ ما أنزلَ الله محرَّمٌ في الإسلامِ تحريمًا قطعيًّا.

وقد جعله الله تعالى في ثلاثِ آياتٍ متواليات من سورةِ المائدةِ من خصالِ الكافرينَ والظالمينَ والفاسقينَ بحسبِ حالِ الفاعلِ، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. فهذه نصوصٌ قاطعةٌ في ذمِّ مَنْ يحكمُ بغيرِ شرعِ الله، أو يرضى به، أو يُبدّلُه.

والأخطرُ من ذلك ما وردَ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وجهُ الدلالةِ: هذه الآيةُ تقطعُ بأن مجردَ إرادةِ التحاكمِ إلى الطاغوت - أي إلى غيرِ شريعةِ الله - تنقضُ دعوى الإيمانِ، فجعلَ الله إيمانَهم مجردَ «زعمٍ»، لأن إرادةَ التحاكمِ إلى غيرِ ما أنزلَ الله تنقضُ أصلَ الانقيادِ للشرعِ، فكيف بمن يريدُ أن يجعلَ الطاغوتَ دستورَ دولةٍ وأنظمةَ حكمٍ؟! إن هذا الفعلَ أبعدُ عن الإيمانِ وأبعدُ!

بل إن الله تعالى سمّى سائر القوانينَ المغايرة لشريعته «حكمَ الجاهليةِ» فقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وجهُ الدلالةِ: أن كلَّ تشريعٍ غيرِ مستندٍ إلى وحيِ الله يُعدّ من حكمِ الجاهليةِ، والمشاركةُ في المنظومةِ السياسيةِ التي تُنتجُ هذا الحكمَ وتُمكّنُ له هي مشاركةٌ في تعظيمِه وقبولِه، بينما المؤمنُ مأمورٌ برفضِه والكفرِ به.

وقد ربطَ الله بين الإيمانِ والتحاكمِ إلى شرعِه وحدَه، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وجهُ الدلالةِ: أن الإيمانَ الحقيقيَّ لا يكمل إلا بتحكيمِ الرسول ﷺ، أي سنتِه وشريعتِه، وأن تحكيمُ غيرِه يناقضُ أصلَ الإيمانِ.

إنَّ القولَ بجوازِ التدرجِ في تطبيقِ الشريعةِ بعد قيامِ الدولةِ أو تولي الحكمِ، معناه في الحقيقةِ القبولُ المؤقتُ بالحكمِ بغيرِ ما أنزلَ الله، وهذا محرَّمٌ بنصوصٍ قطعيةٍ لا تحتملُ التأويلَ، وهي نصوصٌ مطلقةٌ غيرُ مقيدةٍ بزمانٍ أو ظرفٍ أو مصلحةٍ سياسيةٍ. وما استدلَّ به بعضُهم من تدرجِ الشريعةِ في تحريمِ الخمرِ أو غيرِه إنما كان في مرحلةِ نزولِ الوحيِ قبلَ اكتمالِ الدينِ، أما وقد أكملَ اللهُ الدينَ بوفاةِ النبيِّ ﷺ، فإنَّ كلَّ حكمٍ من أحكامِه واجبُ

النفاذِ من أولِ يومٍ، دونَ تأخيرٍ أو تعطيلٍ.

وقد أجمعَ الصحابةُ على تطبيقِ الإسلامِ كاملًا ودفعةً واحدةً في الأمصارِ التي فتحوها دونَ أيِّ تدرجٍ أو إبقاءٍ على أحكامِ الجاهليةِ أو بعضِها. كما أن إبقاءَ التشريعاتِ الباطلةِ مؤقتًا بذريعةِ التدرجِ يرسخُها في وعيِ الناسِ ويطيلُ أمدَها، ويفقدُ الأمةَ الحافزَ للتغييرِ، ويجعلُ المؤقتَ دائمًا. وليس في الإسلامِ مصلحةٌ حقيقيةٌ تخالفُ نصًّا قطعيًّا، بل المصلحةُ الشرعيةُ هي عينُ ما حكمَ به اللهُ ورسولُه.

ولقد ضربَ النبيُّ ﷺ المثلَ الأعلى في رفضِ أيِّ حكمٍ مقيَّدٍ بغيرِ الشريعةِ، حيث عُرِضَ عليه ﷺ أن يحكمَ في مكةَ، وأن يُمكَّنَ من بعضِ السلطةِ مقابلَ التنازلِ عن بعضِ الدعوةِ أو إرجاءِ بعضِ الأحكامِ، أو بشرطِ إبقاءِ بعضِ شعائرِ الشركِ، فرفضَ ذلك رفضًا قاطعًا، ونزلت سورةٌ كاملةٌ بمثابةِ دستورٍ متعلقٍ بهذا الشأنِ إلى يومِ القيامةِ لرفضِ الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ الله، مهما كان الإغراءُ أو الثمنُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾، إعلانًا بالمفاصلةِ التامةِ والنهائيةِ بين الإيمانِ والشريعةِ والنظامِ، وبين عقائدِ الكفرِ وشرائعِه وأنظمتِه، وحسمَ الأمرَ بقوله في ختامِها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾، إعلانًا ﴿قُلْ﴾ بحظرِ الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ الله، وبحظرِ المساومةِ على ذلك.

ورغمَ أن أوضاعَ المؤمنينَ وقتَها كانت بالغةَ الصعوبةِ يُسامونَ العذابَ الشديدَ صباحَ مساءَ من قبلِ الكفارِ، فإن أحكامَ القدرةِ والوسعِ تتعلقُ بالأفعالِ المطلوبةِ شرعًا، وليست مرتبطةً بالأفعالِ المنهيِّ عنها شرعًا؛ فالمنهيُّ عنه لا يتأتى فيه القولُ بعدمِ الوسعِ أو القدرةِ. وقد جاء في الحديثِ الذي أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ: «ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتم»، وفي حديثٍ آخرَ قال ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه». فجعلَ الامتثالَ للأمر مربوطًا بالقدرةِ، بخلافِ النهيِ فيجبُ تركُ المنهيِّ عنه مطلقًا.

وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على تهافتِ كلِّ تبريراتِ الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ الله، ولو في مسألةٍ واحدةٍ؛ فتركُ المحرمِ يقعُ ضمنِ الاستطاعةِ، بل إن الشارعَ لم يربطِ الترَكَ بالاستطاعةِ أصلًا، وقد ثبتَ النبيُّ ﷺ وصحابتُه في أوضاعٍ أشدَّ صعوبةً، ولم يقتحموا الحرامَ بذريعة الضرورةِ أو عدمِ الاستطاعةِ.

كما رفضَ ﷺ نصرةَ بني شيبانَ لما اشترطوا عليه شرطًا يتنافى مع عمومِ تبليغِ الدعوةِ وإقامةِ الدينِ على جميعِ جوانبِه، وتقييدِ الدعوةِ بالعربِ دونَ الفرسِ. فدلَّ ذلك على أن قبولَ الحكمِ المقيَّدِ بالقوانينِ الوضعيةِ

باطلٌ، ولو زُعمَ أنه خطوةٌ أولى نحوَ التغييرِ، إذ هو في الحقيقةِ تثبيتٌ للباطلِ وتضييعٌ لحقِّ اللهِ في الحاكميةِ.

وإن الادعاءَ بأن التدرجَ يعني تطبيقَ بعضِ الأحكامِ اليومَ وبعضِها بعدَ حينٍ، يتضمنُ تبريرَ تطبيقِ البعضِ الآخرِ من أحكامِ الكفرِ تدرجًا، أي تجميلًا للباطلِ وتثبيطًا للنفوسِ عن الأنفةِ من تطبيقِه بحجةِ أنه مؤقتٌ، وما هو كذلك. علاوةً على أنهم لا يطبقونَ أصلًا من الإسلامِ إلا بعضَ أحكامِ الأحوالِ الشخصيةِ، وهذا التطبيقُ امتدادٌ لمحاولات الغرب الحثيثة لوضع الغالبية الساحقة من الأحكام في يد «المحاكم النظامية» التي تحكم بالقوانين الوضعية، وحصر للقضاء الشرعي في دائرة الأحوال الشخصية، وينتج من ذلك حتمية لجوء المسلمين إلى المحاكم النظامية التي تستند إلى القوانين الوضعية في حل نزاعاتهم، ويمنعهم من حلها على أساس الإسلام، الأمر الذي يكرس سيادة القانون الوضعي في البلاد الإسلامية، وفيه أيضا إهدار لأصل عَقَدي جوهري يوجب التحاكم إلى شرع الله ويرفض التحاكم إلى الطاغوت. والإقرار بسلطة المحاكم الوضعية الفاصلة في الخصومات هو إقرار بشرعيتها الفوقية في تنظيم حياة المسلمين.

وهذا أصلٌ عظيمٌ في أنَّ التنازلاتِ العقديةَ أو التشريعيةَ لا تجوزُ بحالٍ، ولو ترتبَ على رفضِها تأخرُ قيامِ الدولةِ أو مشقةُ الطريقِ إليها.

وقد روّجت بعضُ الحركاتِ الإسلاميةِ شعارَ التدرجِ منذ أكثرَ من خمسينَ سنة، وما رأينا إلا تدرجًا نحوَ قبولِ الجاهليةِ وأحكامِها، وانسلاخًا من الإسلامِ وأحكامِه بذرائع الواقعِ الصعبِ، والحكمةِ والتروي، ولم نرَ أيَّ خطوةٍ بالاتجاهِ المقابلِ تُثمرُ أيَّ ثمرةٍ باتجاهِ تحكيمِ الشريعةِ.

المفهومُ الثالث: طريقةُ الرسولِ ﷺ في التغييرِ فريضةٌ لا خيارٌ

عقب إسقاط النظام في مصر، وجدنا افتقار جماعة الإخوان لدعائم تظهر جاهزيتها لتحكيم الشريعة، ما اضطرها إلى الوقوع في مأزق ضغط إعلامي يطالبها بالتأكيد على أنها لا تريد أن تحكم بالشريعة، وكذلك رأينا منحى حركة النهضة في تونس، إذ فصلت الإسلام السياسي عن الدعوي، بحسب تعبيرهم، وركزوا -إذ شاركوا في الحكم- على دولة وطنية ديمقراطية، ورفضوا أي توجه نحو الخلافة أو تطبيق الشريعة، وهذه المحطات المفصلية في التاريخ المعاصر تبين لنا أن القفز عن منهج الرسول ﷺ في التغيير يضع الحركات في مهب ريح عاصف يحرفها عن أن تكون ولادة الدولة ونشأتها طبيعية حتمية، لها امتدادها وثقلها المجتمعي.

إنَّ المنهجَ النبويَّ في التغييرِ – الذي يبدأُ بالتثقيفِ وبناءِ الكتلةِ الطليعية التغيرية، ثم بالصراعِ الفكريِّ والكفاحِ السياسيِّ، لإيجادِ رأيٍ عامٍّ للإسلامِ في المجتمعِ، ولا بد من أن يسري

تغير الرأي العام على ما يكفي من مكامنِ السلطةِ في المجتمع لتتولى نصرة المشروع السياسي الإسلامي لإقامةِ الدولةِ. وهذه خطوات ضرورية في التغيير يمكنُ استنباطُها مباشرةً من القرآنِ والسنةِ، ليس مجردَ خيارٍ تكتيكيٍّ، بل هي فرائض شرعيةٌ تُستقى من نصوصِ القرآنِ الكريمِ التي أحاطت بتفاصيلِ أعمالِ التغييرِ بدقةٍ متناهيةٍ، فذكرت تفاصيلَ الصراعِ الفكريِّ، وغذته بمحكمِ التنزيلِ، وهي تديرُ دفةَ الصراعِ بين الحقِّ والباطلِ في مكةَ وتوجهه، ونزلت بآياتٍ عظامٍ كانت مادةَ الصراع الفكري والكفاحِ السياسيِّ، وأمرت الرسولَ ﷺ بطلبِ السلطانِ النصيرِ، وبيانَ قولِ اللهِ تعالى واصفًا طريقةَ الرسولِ ﷺ (سبيله) بأنها على بصيرةٍ واضحةٍ، لا يحيدُ عنها، هو ومَنْ اتبعه، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف ١٠٨]، فهذه الآيةُ تفيدُ بدلالةِ الإشارةِ عدمَ جوازِ مخالفةِ طريقتِه ﷺ في الدعوةِ ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾. وبالتالي فإننا إن لم نتبعْ طريقتَه ﷺ في دعوتِه وإيجادِ دولتِه نكون قد خالفناها وتعدَّيناها إلى غيرِها. وتُستقى أحكامُ الطريقةِ أيضًا من السنةِ التي يجلي استنباطُ أحكامِها أصوليًّا منعَ تجاوزِ هذه الأعمالِ، ومن السيرةِ التي نقلت لنا إصرارَ الرسولِ ﷺ على تلك الأعمالِ بعينِها ورفضَ بدائلِها رغم المشقةِ. واتباع هذا المنهج ضمين بقيام الدولة على قاعدة شعبيةٍ واعيةٍ، لا تكون عرضةً للاختراقِ أو الانهيارِ عند أولِ أزمةٍ. وقد كان لاعتماد حزب التحرير منهج التغيير هذا أثر كبير في إيجاد الرأي العام التواق إلى الدولة الإسلامية في العالم الإسلامي، ولا سيما في بلاد الشام، علاوة على الإيمان الطبيعي لدى المسلمين في الشام بضرورة تطبيق الشريعة، فالأصل البناء على ذلك كله، واستثمار وجود قاعدة شعبية لتطبيق الشريعة، لا أن يقام حكم علماني جديد بعد سقوط نظام الكفر والبعث، بزعم أن الرأي العام في سوريا وغيرها ليس مُهَيَّأً للحكم بالإسلام.

المفهومُ الرابع: ضرورةُ الإعدادِ الماديِّ والسياسيِّ لمواجهةِ الحصارِ والهيمنةِ

لقد أثبتَ الواقع المعاصر أن القوى الاستعماريةَ تحاصرُ أيَّ كيانٍ مستقلٍّ اقتصاديًّا وسياسيًّا منذ لحظةِ نشأتِه، حتى تُرغمه على الدخولِ في منظومتِها. وأيُّ دولةٍ إسلاميةٍ ناشئةٍ لا تمتلك خططًا واضحةً لتأمينِ مواردِها، وحمايةِ بنيتِها التحتيةِ، والسيطرةِ على مواردِ الطاقةِ والنقلِ، ستقعُ فريسةً للقروضِ المشروطةِ، والاتفاقياتِ المقيِّدةِ، والتبعيةِ الثقافيةِ والتعليميةِ.

المفهومُ الخامس: إسقاطُ النظامِ لا يكفي دونَ بديلٍ مكتملٍ

إسقاطُ الحاكمِ أو النظامِ لا يُعدُّ نصرًا حقيقيًّا إن لم يكن هناك بديلٌ شرعيٌّ متكاملٌ جاهزٌ

للتطبيقِ من اليومِ الأولِ، بدستورٍ وأنظمةِ حكمٍ واقتصادٍ وسياسةٍ مبنيةٍ على الشريعةِ. وإلا فإن الفراغَ سيملؤه إما نظامٌ استبداديٌّ جديدٌ، أو وصايةٌ دوليةٌ، أو إعادةُ إنتاجٍ للنظامِ السابقِ بوجوهٍ جديدةٍ. وقد أثبتَ النظامُ العلمانيُّ الرأسماليُّ القديمُ فشلَه في رعايةِ شؤونِ الأمةِ، وأورثَها ضنكَ العيشِ، وفشلَ أنظمتِه الاقتصاديةِ والقضائيةِ والعقوباتِ وغيرها، وأثبتَ ارتباطَه بالمنظومةِ الاستعماريةِ العالميةِ، وبالتالي فإن اجترارَه بوجوهٍ جديدةٍ لن يغيرَ من الواقعِ إلا لمساتٍ شكليةً لا أثرَ لها على الحقيقةِ، ولا يقربَها من تطبيقِ الشريعةِ قيدَ أنملةٍ.

المفهومُ السادس: «الاستطاعةُ الناقصةُ» وأثرُها في تكريسِ الخطأِ

حين تصلُ حركةٌ إسلاميةٌ إلى الحكمِ دون أن تمتلكَ القدرةَ الكاملةَ على تطبيقِ الشريعةِ – لغيابِ الإعدادِ أو الخططِ الإستراتيجية المتعلقةِ بمواجهةِ محاولاتِ الإحباطِ، أو عدم الاهتمام بتفعيل الرأيِ العامِّ المساندِ لضمانةِ التلاحمِ بين القيادةِ وبين الأمةِ، أو إهمال تحضيرِ الامتدادِ الطبيعيِّ في الأمةِ كلها عبر القيامِ بأعمالِ الدعوةِ والتغييرِ في كل البلادِ الإسلاميةِ، وتهيئةِ الرأيِ العامِّ فيها لنصرةِ الخلافةِ حين قيامِها، وإيجادِ خطةٍ عمليةٍ سليمةٍ لتفعيلِ ذلك التأييدِ بما يضغطُ على الدولِ الاستعماريةِ التي تحاول إحباطَ قيامِ الدولةِ ضغطًا يخضعُها – فإنها تقعُ في فخِّ «الاستطاعةِ الناقصةِ» التي تبررُ الاستمرارَ في الحكمِ بالعلمانيةِ بحجةِ الضرورةِ أو التدرجِ، وهو في الحقيقةِ نقلٌ للأمةِ من خطأٍ إلى خطأٍ أكبرَ، وتأجيلٌ غيرُ مبررٍ لإقامةِ حكمِ الله، ويتحملُ القائمونَ عليه مسؤوليةَ الكوارثِ التي تنتجُ عن عدمِ تطبيقِ الإسلامِ في الحياةِ وإفرازاتِها على المجتمعِ، بوصفِهم السلطةَ الحاكمةَ. وإن عدمَ حكمِهم بالإسلامِ يقتضي بالضرورةِ قيامَهم بتشريعِ دستورٍ وأنظمةٍ علمانيةٍ في الدولةِ، وهذا بالضرورةِ يعني أنهم اتخذوا أنفسَهم أو من شرّعوا هذه القوانين أربابًا من دونِ الله، فشاركوه في خاصيةِ الحاكميةِ.

ولا يجوزُ شرعًا التذرعُ بأوضاعٍ محليةٍ أو دوليةٍ أو بالاضطرارِ أو بعدمِ القدرةِ لتبريرِ الدعوةِ إلى الكفرِ أو تطبيقِ الكفرِ وأنظمتِه. فهذا من أعظمِ المحرماتِ، وأعظمُ منه حرمةً الافتراءُ على الإسلامِ بزعمِ وجودِ رخصةٍ بتطبيقِ الكفرِ بسببِ الاضطرارِ أو عدمِ القدرةِ. فأيُّ اضطرارٍ هنا؟ كيف نفهمُ اضطرارَ مَنْ «استطاع» إنهاءَ حكمٍ استبداديٍّ استمرَّ عقودًا، بقدراتٍ وطاقاتٍ هزمَ بها جيشَ ذلك النظامِ، وفصائلَ وقواتِ قبائلَ بمئاتِ الآلافِ، بعد أن كان خارجَ النظامِ، وإذْ به يصلُ لسدةِ الحكمِ، فيتفاجأُ بأنه غيرُ قادرٍ، وعاجزٌ عن تطبيقِ الإسلامِ، ويعلنُ أنه «مضطرٌّ لتطبيقِ الكفرِ» ويسنُّ التشريعاتِ بناءً عليه، ويكونُ مخرجُه من وضعِ «العجزِ» إلى وضعِ «التمكينِ» أن يستعينَ بأعداءِ الأمةِ لينالَ

منهم شهادةَ حسنِ سلوكٍ يرضونَ بها عنه، ويقبلونه!

معنى «الاضطرار»: قال ابنُ عابدين في «حاشيته» (٤٥/٥): «المرادُ بالاضطرارِ: أن يخافَ هلاكَ نفسِه أو عضوٍ منه إذا لم يرتكبِ المحظورَ». وأيضًا اشتراطُ «عدمِ المخرجِ»: قال القرافي في «أنوار البروق» (٢٠٠/٤): «لا يجوزُ ارتكابُ أخفِّ الضررينِ إلا إذا تعذرَ الخروجُ من الضررِ بالكليةِ، فلو أمكنَ الخلاصُ من الضررينِ معًا، لم يجزْ ارتكابُ شيءٍ منهما». وقد قررَ جمهورُ الفقهاءِ أن الضررَ لا يُزالُ بضررٍ مثلِه أو أشدَّ منه. وأيُّ ضررٍ أشدُّ من إلباسِ الحكمِ بالكفرِ ثوبَ المشروعيةِ، ونقلِه من «فرضٍ خارجي» مفروضٍ بالقوةِ على المجتمعِ، إلى «خيارٍ داخلي» بعد إلباسِه ثوبَ الشرعيةِ، وتزيينِه للناسِ الذين خرجوا لحربِه قبلَ ذلك!

ولا يكونُ الاضطرارُ الشرعي «مجتمعيًّا» بل هو اضطرارٌ فرديٌّ كأكلِ الميتةِ. قال الإمامُ الشاطبي: «الضروراتُ لا تبيحُ المحظوراتِ إلا بقدرِها»، وقال: «ولا يجوزُ أن تتحولَ الرخصةُ إلى أصلٍ دائمٍ".

المفهومُ السابع: الرأيُ العامُّ الواعي ضمانةُ استقرارِ الدولةِ الإسلاميةِ

الدولةُ التي تنشأُ على قاعدةٍ من الحماسِ الشعبيِّ المؤقتِ، دون ترسيخِ الأفكارِ والمفاهيمِ الإسلاميةِ في الأمةِ، ستفقدُ شرعيتَها السياسيةَ والدينيةَ بسرعةٍ، وستعتمدُ على الأجهزةِ القسريةِ بدلًا من التفاعلِ الواعي بين القيادةِ والأمةِ. أي إنها ستعتمدُ على القوانينِ لفرضِ التغييرِ، وهذا يُضعفُ تماسكَها الداخليَّ ويجعلُها أكثرَ عرضةً للاختراقِ، إذ إن منهجَ الإسلامِ يقومُ على تغييرِ القناعاتِ أصلًا، ليكونَ منبعُ التغييرِ من الأمةِ.

المفهومُ الثامن: إعادةُ إنتاجِ الاستعمارِ من داخلِ القيادةِ الجديدةِ

حين تفتقرُ القيادةُ الجديدةُ للرؤيةِ والخطةِ، تستدرجُها القوى الكبرى للدخولِ في منظومتِها الدوليةِ، فتوقعُها في اتفاقياتٍ وقروضٍ ملغومةٍ، وتربطُ اقتصادَها وبنيتَها التحتيةَ بمصالحِ الغربِ، وتفرضُ عليها سياساتٍ أمنيةً وثقافيةً متعارضةً مع الإسلامِ، فيتحولُ «النصرُ» الظاهريُّ إلى سلسلةِ تنازلاتٍ إستراتيجية تُفرغُ التغييرَ من مضمونِه.

الخاتمة: إن أيَّ مشروعٍ لإقامةِ الدولةِ الإسلاميةِ لا يُبنى على فهمِ هذه المفاهيمِ والتسليمِ بلزومِها الشرعيِّ والسَنني، سيظلُّ مشروعًا هشًا مهما بدا قويًّا في لحظةِ اندفاعِه الأولى. وإن التمسكَ بطريقةِ الرسولِ ﷺ، والتزامَ التحضيرِ الفكريِّ والمجتمعيِّ والماديِّ، ورفضَ أيِّ مساومةٍ على الحكمِ بالشريعةِ، هي الضماناتُ الوحيدةُ لقيامِ دولةٍ راسخةِ الأركانِ، عصيةٍ على الهيمنةِ، قادرةٍ على حملِ رسالتِها في العالمِ.■

لوازم الفهم السياسي ورسم السياسات (٤)
تاريخ الشعوب وصفاتها واتفاقها وصراعها

لقمان حرزالله- فلسطين

وإن التاريخ حين يُدرس لا بد أن يميز الدارسُ ما يفيده منه، ويطرح ما لا يفيده، وتمييز الدارس لذلك يكون من خلال ارتباط دراسته للتاريخ بالهدف الذي يدرس هذا التاريخ لأجله؛ فإنه إذا أراد الأدب والبلاغة أبحر في تاريخ أدباء أمته، وإذا أراد التسلية خاض في أساطير الأمم، وإذا كان الفضول قائده، ذهب يبحث فيما لا جواب عنه في التاريخ. ولكن السياسي لا يدخل هذه المداخل بل يذهب بالاتجاه الذي يمليه عليه هدفه؛ وهو دراسة سياسة الأمس.

التاريخ:

فتاريخ الأمم والدول والقادة هو أخبار عن أحوال وقعت تتعلق برعاية الشؤون وتغيير الأوضاع، وهذا كان في حينه أحداثاً سياسية فأصبحت اليوم تاريخاً، ودراسة تاريخ الأمم والدول والقادة يفيد في جوانب شتى، فتاريخ القادة ينير بصائر السياسي الفعلي الذي يباشر السياسة، وذلك حين ينظر في أفعال القادة الذين غيروا مسار الأحداث، أو أخرجوا بلادهم من الأزمات، أو جنبوا أممهم الويلات، أو نهضوا بأممهم وأوصلوها إلى مصاف الدول العالمية. وذلك يؤكد له أن الممكن في السياسة هو الواقع، وهو أيضا ما يمكن أن يصبح عليه الواقع حين تشتغل به يد السياسي. وتاريخ الدول يفيد السياسي ويعطيه تجربة فعليه عن تطور الميزان الدولي، ونشأة الأعراف والقوانين الدولية، وعن الأدوات الفاعلة التي استُخدمت على مر الزمان لإنفاذ التوجهات السياسية، وتحقيق السياسات المرسومة. ودراسة تاريخ الأمم تعطي السياسي نظرة في الأمم والشعوب، وخصالها، وكيفية ارتباط الأحداث المتعلقة بالأمم بهذه الخصال التي تحملها تلك الأمم.

إن القادة الحاليين في العالم يستلهمون تجاربهم في أكثر الأحيان من قادة تاريخيين في أممهم، فالقادة في أمة الإسلام استلهموا عطاءهم من النبي ﷺ، ومن الخلفاء الراشدين من بعده أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، والخلفاء السياسيين الذين أحسنوا رعاية الأمة والدولة، كهارون الرشيد وسليمان القانوني رحمهما الله. وهذه أمريكا يستلهم قادتها إصرارهم وتوجهاتهم من القادة الأوائل الذين بنوا أمريكا وحافظوا على وحدتها وأسسوها لتصبح دولة أولى في العالم، مثل جورج واشنطن وأبراهام لينكولن. وهذه روسيا يستلهم قادتها

عنفوانهم بل وتوجهاتهم السياسية من قادتهم التاريخيين أمثال بطرس الأكبر وكاترينا. فدراسة التاريخ مهمة لرسم القدوات للقادة الشباب، ودفعهم باتجاه مجاراة قدواتهم في العطاء والقدرة.

وإن الذي يهمنا في بحثنا هنا هو المستفاد من التاريخ في الفهم السياسي ورسم السياسات؛ ولذلك فإنه لا بد لنا من دراسة تاريخ أمتنا وتاريخ الأمم الفاعلة في الأرض، وهذه الدراسة يلزم النظر فيها إلى مفاصل تاريخ الأمم لا إلى تاريخ الأمم التفصيلي كله، وهو يلزم على النحو التالي:

أولاً: دراسة عامة لتاريخ أية أمة عبر تاريخها منذ نشأتها، وهذا الدراسة تخلص إلى صورة واضحة عن صفات هذه الأمة التي لازمتها منذ نشأتها، وهو أمر يؤثر في نظرتنا للأمة المعينة في وقت صحوتها ووقت كبوتها؛ فإذا اجتمعت في أمة صفات القيادة وشدة البأس والقيام بمسؤولياتها وتحملها مسؤولية غيرها، كانت هذه الأمة أمة لا تندثر، فإن كَبَت فسرعان ما ترجع لتلم شعثها وتربي العالم على طريقتها.

وإذا اجتمعت في أمة صفات الخبث والمكر وقوة التواصل مع غيرها وسهولة كسب الأصدقاء وتحييد الأعداء، كانت هذه الأمة وبالا على العالم، لا تجلب له إلا الشقاء والحرب لتحقيق مصلحتها، وإذا كان شعب اجتمعت فيه خصال الخبث مع الجبن وامتهان الدسائس فإن هذا الشعب يكون مصدر قلاقل لأية دولة تسيطر عليه ولا بد أن يُمنع من أخذ أي موقع قيادي في أي دولة تحكمه، وهكذا.

ثانياً: يلزم دراسة مفاصل تاريخ الأمم، التي أحدث تغييرات جوهرية في تاريخها، ودراسة وضع العالم وقت تلك المفاصل التي حصل فيها التغيير لصالح الأمة أو ضدها؛ وبهذا يدرك السياسي تقلب الموقف الدولي، ويستشرف ظهور أمة وأفول أخرى.

فمثلا صلح الحديبية كان مفصلياً في تاريخ أمة الإسلام، وبعده إرسال الرسائل إلى الملوك في العالم. ومعركتا القادسية واليرموك كانتا مفصليتين في خروج الدولة إلى الناحية العالمية. وفتح القسطنطينية كذلك. وفي المقابل كانت حرب بطرس الأكبر على الدولة العثمانية في منطقة بحر آزوف بعد أن أنشأ فيه ميناء ليمنع امداد تتار القرم من البحر من الحروب المفصلية في تاريخ روسيا القيصرية. ومنه أيضاً الثورة الأمريكية التي أعقبها نشأة الولايات المتحدة الأمريكية. ومنها الحربان العالميتان. فهذه المفاصل تعطي صورة عن الموقف الدولي، وتبدله، وأسباب تبدله، وأسباب ضعف دول وقوة أخرى، وعن المكائد والفخاخ السياسية التي كانت تحوكها دول ضد أُخَر. وإن التاريخ يكرر نفسه وإن كان بحلل مختلفة كل مرة.

ثالثاً: يلزم دراسة الأخطار التي أحدقت بالأمم، والحروب الرئيسة التي شنت عليها، ومعرفة

خصومها التاريخيين، والثغرات التي كانت تؤتى منها في حروبها.

فإن روسيا لا ترى أوروبا إلا عدواً، وهذا الأمر مؤكد تاريخياً؛ حيث إن أوروبا غزت روسيا ثلاث مرات كبيرة، منها حرب الشمال العظمى بقيادة مملكة السويد، ومعركة بورودينو بقيادة نابليون، وحين غزاهم هتلر ضمن الحرب العالمية الثانية. وهذا يلفت النظر إلى أن روسيا غزيت في المرات الثلاث من بوابتها الغربية، ما جعلها تأخذ مسألة حماية بوابتها الغربية قضية مصيرية، ولذلك وقفت موقفاً شرساً جداً حين طالبت أوكرانيا حلف الناتو بقبولها عضواً فيه، وذلك بإيعاز من أمريكا حتى تشعل هذه البؤرة، وقد اشتعلت عام ٢٠٢٢.

رابعاً: يلزم دراسة التاريخ القريب، وذلك لاتصاله بالقضايا الجارية، فتدرس المشاريع السياسية التي قامت بها الدول، وهل ما زالت قائمة عليها أم أنهت العمل بها فشلاً أو نجاحاً. وإذا لم يُعرف تاريخ القضية المعينة التي تجري أحداث متعلقة بها، يكون أي تحليل لظروف حالّة دون النظر في تاريخ القضية تحليلاً أبتر، فإن جوانب القضية لا تنكشف بشكل كامل دون معرفة تاريخها؛ فحين يُنظر في القضية الفلسطينية لا بد من معرفة تاريخها منذ أن وُضِعت هدفاً من قبل الانجليز مروراً باحتلالها، إلى إعطائها ليهود، وإعطاء الأردن ومصر حكماً على أجزاء منها، ثم ما تعلق بها من مشاريع الدولة الواحدة والدولتين، وعلاقات يهود بالأردن، ونظرة يهود إلى الأردن عبر تاريخ القضية، والخطط التي أجراها الأمريكان للوصول إلى حل الدولتين، ابتداء بتشجيع تقسيم فلسطين إلى دولتين عام ١٩٥٠ ثم تبنّي مشروع الدولتين عام ١٩٥٩ ثم تجيير اتفاق أوسلو ١٩٩٤ لصالحهم إلى أن وصلت إلى صفقة القرن ٢٠٢٠، والانتقال من مبادرة السلام العربية إلى التطبيع ثم السلام، وتبدل توجهات يهود بين الأردن والسعودية، وتبدل ولاءات يهود بين بريطانيا وأمريكا، ثم سيطرة أمريكا على المشهد، ثم انقسام الحزبين الأمريكيين ودعم كل واحد منهما طرفاً عند يهود. وهكذا، فإنه حين يحصل أي حدث جديد يكون مفهوماً سياقه.

ولا بد من ملاحظة قضية مهمة جداً، وهي أن التاريخ تختلط فيه الأحداث بالحقائق، فهناك أحداث حدثت لأمة أو دولة كانت متعلقة بظروف معينة، وهناك حقائق تاريخية بمعزل عن الظروف، فيجب أخذ الحقائق وترك الأحداث المرتبطة بالظروف. فإن الأمة الإسلامية ليست أمة دموية، حتى لو حصل في تاريخها أن سُفكت دماؤها على إثر خلافات داخلها، ولكن بالنظر إلى واقع تلك الخلافات تجد أن مرد تلك الخلافات إلى ظروف وأحوال نشأت، أو جماعات دخيلة أربكت الأمة في حين غفلة منها، ومثال ذلك ما وقع من أحداث مع الخوارج، وإنشاء الدولة الفاطمية، وسيطرة القرامطة على الحرم.

ولكن هذا لم يُخرج تاريخ الأمة من سياقه، وهو تحمل مسؤوليتها في نشر مبدئها للعالم، وقد بقيت على هذا الحال حتى سقطت دولتها، ثم ها هي تعود لتعمل على بناء دولتها من جديد. فالحدث المرتبط بظرف حصل هو دموية الأمة الإسلامية في خلافاتها، وهذا لا يؤخذ، والحقيقة التاريخية هي مسؤولية الأمة في نشر مبدئها، وهذه تؤخذ.

وهكذا فإن تكوين صورة تاريخية عن الأمم الفاعلة والأمم التي كانت أو يمكن أن تكون فاعلة أمر مهم عند السياسي، أكان يريد الاشتغال بالفهم السياسي أم برسم السياسات.

صفات الشعوب

إن مبحث صفات الشعوب مبحث لازم للبحث السياسي، وكذلك لراسم السياسات المتعلقة بالشعب أو الأمة.

فإن السياسة التي يقررها القادة السياسيون في بلد ما ليست منفصلة عن خصال يحملونها، وهذه الخصال إنما نتجت من طبيعة الشعب الذي خرجوا منه؛ فاختيار الأهداف غير منفك عن صفات الشعوب؛ حيث إن الشعب المتطلع إلى السيادة على غيره يختار هدفاً له مغايراً عن هدف شعب لا يتطلع إلا إلى نفسه، وإن الشعب الذي يشعر بمسؤوليته عن غيره يتخذ أهدافاً سياسية غير تلك التي يتخذها شعب من طبعه الأثرة.

وصفات الشعوب تؤثّر في الخطط والأساليب التي تُسلك للوصول إلى الهدف، فإن الشعب الذي يأنف الظلم لا يسلك نفس السلوك الذي يسلكه الشعب الذي يألف الظلم، حتى لو كان الهدف الذي ذهب باتجاهه الشعبان واحداً.

وإن السياسة التي ترسمها الدولة الأولى في العالم المتعلقة بالشعوب والدول لا بد فيها من النظر إلى صفات الشعوب، فإن توسع الدولة الإسلامية في بلاد الشام وإفريقيا أخذ الطبيعة الحربية، بينما وصل الإسلام إلى إندونيسيا وانتشر فيها انتشاراً واسعاً حين دخلها التجار المسلمون، وعليه فإن سلوك الدولة أسلوباً واحداً لشعبين مختلفين دون النظر في طبائعهما لا يؤدي إلى نفس النتائج عندهما، بل قد يوصل إلى الإخفاق. وكذلك فرق بين الشعب الألماني والشعب الأفغاني، فأمريكا احتلت ألمانيا سنين طويلة فلم يضرب الألمان عليها حجراً، ولكنها حين احتلت أفغانستان لم يهدأ لها بال حتى انسحبت منها بعد عشرين عاماً بشكل مهين. فراسم السياسات لا بد له من النظر في صفات الشعوب حين رسم السياسات المتعلقة بهم. وهذا رسول الله ﷺ يعلمنا ذلك، فإنه لما جعلت قريش ترسل له المفاوضين يوم الحديبية، اتخذ لكل مفاوض أسلوباً يناسبه، فلما أرسلت قريش له الأحابيش كان على رأسهم الحليس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهم حلفاء قريش، فلما رآه الرسول ﷺ قال: «**إن هذا من قومٍ**

يتألّهون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الحليس بن علقمة الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش ولم يصل إلى الرسولِ ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك، فقالوا له: «اجلس، فإنَّما أنت أعرابيٌّ لا علمَ لك»، فغضب عند ذلك الحليس وقال: «يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصَدُّ عن بيت الله من جاء معظِّماً له؟ والذي نفس الحليس بيده، لَتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجلٍ واحد». [السيرة النبوية، ابن هشام] وإن صفات الشعوب يمكن أن تدرَك من خلال تتبع تاريخها. وليس المقصود هو قراءة تاريخها التفصيلي، ولكن بالنظر في مفاصل تاريخها فذلك يكفي.

إذ لا بد من النظر في تاريخ نهضتها، وتاريخ كبوتها، وتعاملها مع أعدائها، كما ينظر في تعاملها مع الأزمات التي تلم بها، فيُتحصل من استقراء تلك المراحل صفات عامة لهذه الشعوب.

كما أن صفات الشعوب تدرَك من طبائع بلادها، فالشعوب التي تعيش في البلاد المفتوحة على البحار وطرق التجارة والنقل وصيد السمك تتكون فيها طبائع تناسب طبيعة بلادها ومهنتها العامة، ولذلك كان الإنجليز من أقدر الشعوب على التعامل مع الشعوب الأخرى والتواصل معها، وكانوا من أكثر الشعوب دهاء وخبثاً، بينما عاش العرب في بلاد قاسية الطباع، فهي بين الصحاري والجبال العالية، وكان عيشهم صعباً وأكلهم جافاً، وكانوا لا يبالون بالمشقة في عيشهم، بل إن سعة صحاريهم وسّعت آفاقهم فهداهم الله إلى التجارة خروجاً من ضيق عيشهم، فجمعوا بين القدرة على التواصل مع غيرهم وبين قوة بأسهم، وكانوا لا يألفون النفاق ولا يحبون الكذب، وقد أخبر النبي ﷺ عن صفتهم حين خرج من مجلس بني شيبان حين طلب منهم النصرة فقال: (**يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم**) [دلائل النبوة، البيهقي]. فطباع البلاد ومهنتها العامة من أسباب الصفات الجمعية للشعب والتاريخ دليل عليها.

الاتفاق والصراع

إن الجماعات تاريخياً والدول لاحقاً لم تعش كل واحدة منها منعزلة عن غيرها، فإن كان هذا الأمر غير وارد في الجماعات والدول تاريخياً، فإنه أحرى أن يدرك في هذه الأيام أن الدول لا يمكن أن تعيش منعزلة عن غيرها، خصوصاً تلك التي لديها دافع للتعامل مع غيرها.

وإننا نستثني من بحثنا هذا تلك القبائل والتجمعات التي ما زالت تعيش في مجاهل الغابات، مع أنها هي نفسها لا تنعزل عن محيطها من أمثالها من القبائل، حيث تخوض

حروبها وتؤمن مصالح بعضها. ولكن استثناءها جاء من باب أنها لا تؤثر في الساحة الدولية مطلقا.

إن دول هذا العالم إما أن تكون مؤثرة أو تكون متأثرة، ولذلك فإن الجماعة التي تقرر اعتزال العالم لا بد أن تكون متأثرة بأطماع تلك الدول التي تقرر أن تكون مؤثرة.

وإن الدول في العالم إما أن تحتك بغيرها بدافع السيادة أو بدافع الاستعمار. ودافع السيادة يمكن أن ينطلق من حب سيادة العرق أو سيادة القوم أو سيادة المبدأ، فكلها تندرج تحت هذا الإطار. ودافع الاستعمار يندرج تحته كل استغلال لموارد الدول وثرواتها من خلال الاحتلال العسكري أو من خلال الاتفاقات السياسية أو الاقتصادية.

وإن هذين الدافعين يدفعان اللاعبِين على الساحة الدولية إلى الصراع أو الاتفاق. فدافع سيادة العرق كان أداة هتلر في حشد العرق الآري ليخوض حروباً للسيطرة على أوروبا، وإن كان قد تحرك باتجاه الدنمارك والنرويج لحماية شحنات الحديد التي تصله من السويد، إلا أن التوجه العام الذي أظهره كان مدفوعاً بتفوق عرقه، فكان هذا الدافع دافعاً باتجاه الصراع. وإن الدولة الإسلامية اجتاحت الأرض تفتح بلادها مدفوعة بسيادة المبدأ - وهو الإسلام- دون النظر في الثروات والموارد، فكان فتح مصر والشام مثل فتح البلاد الفقيرة في الجزيرة العربية سواء بسواء. وإن دافع السيادة لا يمكن أن يصطلح مع سيادة غيره، إلا صلحاً مؤقتاً، ليستأنف بعدها العمل لسيادة مبدئه أو عرقه أو قومه.

أما دافع الاستعمار فإنه دافع قبيح، يدفع القوي إلى أكل الضعيف بإذلاله، بل باستعباده، لاستخراج موارد بلده لصالح عدوه، ولذلك فإن الدول الرأسمالية الغربية جعلت الصراع لأجل الاستعمار مقدماً على كل دافع في الفترة التي استعمرت فيها العالم الإسلامي وإفريقيا.

فقد وصل الحال أن تستعمر فرنسا النيجر، وتشغل أطفال النيجر لاستخراج اليورانيوم من مناجم النيجر، ليُشحن اليورانيوم إلى فرنسا، لتشغل به مفاعلاتها النووية التي تضيء فرنسا بالكهرباء، وأهل النيجر يموتون في المناجم ولا يجدون ضوءاً إذا أظلم عليهم الليل. ودافع الاستعمار هو الذي دفع الملك البلجيكي ليوبولد الثاني الذي سيطر على جمهورية الكونغو الإفريقية إلى إهلاك عشرة ملايين إفريقي، فضلاً عن تجارة الرقيق التي كانت سلعة الأمس عن الأوروبيين.

إن الصراع يحصل بين أولئك الذين تدفعهم دوافع السيادة، فيصطرع البَلَدان صراعاً يكتسح حدودهما ويدفعهما إلى حالة الحرب الفعلية، حتى يخضع أحد الطرفين ويستسلم، ويسود الأقوى في الصراع على البلدين.

إلا أنه منذ أن تم تقديس الحدود الوطنية

أصبح هذا النوع من الصراع مكروهاً دولياً، فلجأت الدول إلى الالتفاف على هذا التوجه الدولي من خلال الاستفتاءات الشعبية، فالنمسا كان التوجه الشعبي فيها للاتحاد مع ألمانيا قبل عملية آنشلوس لضم النمسا إلى ألمانيا، وإن روسيا شجعت الحركات الانفصالية في الشرق الأكراني، ثم اعترفت بالجمهوريات الانفصالية (دونيتسك ولوهانسك) ثم طلبت هذه الجمهوريات من روسيا الدفاع عنها ضد الاعتداء الأكراني عليها، فكان هذا الإخراج مهماً للروس حتى لا يظهروا بمظهر الخارج عن القانون الدولي.

كما أن الصراع يحصل بين أصحاب التوجه الواحد، وذلك من باب سيادة الدولة المعينة في مجموعتها وبالتالي في العالم، ومن باب الصراع على الثروات. فالدول الغربية الرأسمالية اصطرعت في بلاد المسلمين صراعاً عنيفاً، أدى إلى أن تسحب أمريكا البساط من تحت أرجل إنجلترا من مستعمراتها القديمة، من خلال اشعال المناطق وقتل العملاء، فهذه أمريكا أشعلت اليمن من خلال الضربات التي قادتها «السعودية» على اليمن عام ٢٠١٥؛ حتى توفر للحوثي الذي سار في ركاب الأمريكان في ذلك الوقت فرصة ليدخل إلى طاولة الحكم في اليمن، ويسحب البساط من تحت أرجل علي عبد الله صالح ومن خلفه بعد قتله.

وإن أمريكا أشعلت العراق لتنهي تبعيته لإنجلترا وتسيطر على ثرواته.

وفي المقابل فإن الدول التي تدفعها مصالحها إلى الصراع تدفعها مصالحها أيضا إلى الاتفاق، فإن أمريكا رأت في عام ١٩٦١ أن مصلحتها أن تدخل في مرحلة الوفاق مع الاتحاد السوفياتي، حتى تحد من طموح باقي الدول الكبرى، فلما استنفدت مصلحتها تركت الوفاق عام ١٩٧٩.

وإنه لا بد من ملاحظة الفرق بين الصراع المبني على العداء والصراع المبني على التنافس، فإن الدول الأوروبية حين تصطرع مع أمريكا فإن صراعها يكون من باب التنافس على مغانم العالم، حيث أن أوروبا ترى أنها وأمريكا لهما نفس القيم والتوجه الحضاري، وأن أمريكا إنما هي وليدة أوروبا، فهما جبهة واحدة، يتّحدون على غيرهم ويتنافسون بينهم. بينما لا يكون الصراع بين روسيا وأوروبا مدفوعاً بالتنافس، بل بالعداء، وهذا العداء تاريخي بين هاتين الجبهتين.

إن البحث في الصراع والاتفاق إنما يلزم في الدول الفاعلة في العالم، أو ما اتصل بها من قضايا، ويلزم في الأمم والشعوب التي تمتلك مقومات أن تكون دولاً كبرى، أما غيرها فلا يهم بحثها مطلقاً.

وإن الصراع والاتفاق تاريخياً دفع الدول إلى الاتفاق على أعراف، ومن ثم قوانين يحترمها الجميع، وكذلك دفع الدول إلى تشكيل الأحلاف وعقد المؤتمرات الدولية. [يتبع]

طريقة إدارة ترامب في مُعالجة النزاعات الخارجية

أحمد الخطواني

تُركّز إدارة ترامب في مُعالجتها للنزاعات الخارجية على فكرة أنّها لا تحتاج إلى شركاء خارجيين في حلّها لتلك الأزمات، فهي من مُنطلق الشعارات التي تبنّاها ترامب وتيّار ماغا (لتعود أمريكا دولة عظيمة ثانية) و(أمريكا أولاً) فإنّها لا تحتاج إلى شركاء دوليين، وتستطيع بمفردها حلها، أي أنّها تُريد الاستفراد بالحل دون مساعدة الآخرين، ولا إشراكهم به، فأصبح يغلب على أسلوبها في العلاج الطابع الإقصائي، واستبعاد وجود الشركاء.

وهذا شيء جديد على السياسة الخارجية الأمريكية لم يكن موجوداً من قبل حتى في فترة حكم ترامب الأولى، فإدارة ترامب الحالية على سبيل المثال قامت بإلغاء دور اللجنة الرباعية في السودان والتي تشمل بريطانيا والنرويج إلغاءً رسمياً مع أنّها كانت موجودة وحاضرة مُنذ إدارة ترامب الأولى واستمرت مع إدارة بايدن، وعطّلت أيضاً دور مجموعة مينسك التي كانت مسؤولة عن حل مشاكل أرمينيا وأذربيجان مُنذ أكثر من خمس سنوات والتي تشمل روسيا وفرنسا، إذ قامت برعاية مُحادثات السلام بين الدولتين بِمفردها من دون الرجوع إلى المجموعة ولو من باب التشاور أو المجاملة.

وفي النزاعات الخارجية الأخيرة أصرّت إدارة ترامب على تجاهل الشركاء الدوليين تجاهلاً تامّاً، ففي النزاع بين روسيا وأوكرانيا تجاهلت تماماً الدول الأوروبية، واجتمع ترامب مع بوتين في ألاسكا على انفراد ودون مشاورة الأوروبيين، وحاولت فرنسا وبريطانيا جر الدول الأوروبية الرئيسية ومعهما المفوضية الأوروبية للاصطفاف إلى جانب أوكرانيا، وحاولوا بوصفهم كتلة أوروبية كبيرة الالتصاق بأوكرانيا ليكونوا إلى جانب أمريكا في المفاوضات مع روسيا لكنّ ترامب استبعدهم وأصرّ على التفرد في التفاوض مع بوتين.

حتى إنّ بعض المسؤولين الروس أظهروا امتعاضهم من التدخل الأوروبي خاصة بريطانيا في المشكلة الأوكرانية، ووصفوا دورها صراحةً بأنّه يهدف إلى تخريب المفاوضات الجارية بين روسيا وأمريكا.

ونقلت الأخبار بأنّ رئيس وزراء بريطانيا ستارمر قام بتدريب رئيس أوكرانيا زيلينسكي حول كيفية مقابلة ترامب والتعامل معه حتى في الشكليات، فظهر زيلينسكي بعد ذلك أمام ترامب ببدلة سوداء أنيقة وليس ببدلة عسكرية كما فعل في السابق، وكرّر الشكر لترامب ست مرات في دقيقتين.

فواضح من هذه الأمثلة أنّ الملمح الأول في السياسة الخارجية الأمريكية في إدارة النزاعات الخارجية يقضي بالتفرد في حلها وعدم إشراك القوى الدولية فيها لقناعة الإدارة الأمريكية بقدرتها بمفردها على القيام بذلك وعدم الحاجة إلى الشركاء.

أمّا الملمح الثاني لهذه السياسة فهو تحقيق أكبر قدر من الاستفادة المادية بالابتزاز والضغط على المتخاصمين بوقاحة لقاء إدارة نزاعاتهم، فمثلاً في إدارة النزاع بين رواندا والكونغو نالت الشركات الأمريكية فرصة حق الوصول إلى المعادن النادرة اللازمة لصناعة الإلكترونيات الدقيقة شرقي الكونغو.

وفي إدارة النزاع الهندي الباكستاني وبعد توقيع الاتفاق تمّ تمكين الشركات الأمريكية من تطوير واستخراج احتياطيات النفط الباكستانية الهائلة بالإضافة إلى تعزيز التعاون الاستخباري بين أمريكا وباكستان، وجعل الجيش الباكستاني - وليس الحكومة - هو المسؤول عن إدارة العلاقات السياسية الأمريكية الباكستانية بينما تقوم الحكومة فقط بترشيح ترامب للحصول على جائزة نوبل.

وأمّا بالنسبة لإدارة النزاع التايلاندي الكمبودي الذي وُقّع في ماليزيا وبوساطة ماليزية، فأعلن ترامب عن تمكّنه من إيقاف الحرب بين الدولتين، وبالمُقابل تمّ الإعلان عن التوصل إلى اتفاقيات تجارية ضخمة حصلت عليها الشركات الأمريكية من كلا البلدين، فيما أعلنت كمبوديا عن ترشيحها لترامب لنيل جائزة نوبل للسلام.

وأمّا فيما يتعلق بالنزاع الأذري الأرميني فتوقيع اتفاق السلام بين رئيسي الدولتين صاحبه الإعلان عن تغيير ممر زنغزور إلى ممر ترامب والذي خططت تركيا أنْ يربط بين أذربيجان وإقليم ناخجوان الأذري الموجود داخل الأراضي الأرمينية والذي يُحاذي الحدود الإيرانية ويصل إلى تركيا، والذي كانت تعترض عليه إيران وروسيا، فوافقت أرمينيا على تأجيره لأمريكا لمائة عام، وتحويله إلى واحدٍ من أهم الممرات التجارية العالمية التي تقطع على روسيا والصين وإيران الطريق لإنشاء ممراتهم ومشاريعهم في المنطقة، وجعلت أمريكا تركيا وهي صاحبة الفكرة أصلاً مُجرد أداة من أدوات تنفيذ مشروع أمريكي تجاري وجيوسياسي من أهم وأضخم المشاريع العالمية، وقال الرئيس الأذري إلهام علييف تعليقاً عليه: «**إنّ ترامب حقّق مُعجزة في أقل من ستة أشهر**».

وبالإضافة إلى تحقيق ترامب لهذه المكاسب المادية الضخمة فقد أثمر هذا الاتفاق عن إخراج أرمينيا من دائرة النفوذ

الروسي ومن منظمة شانغهاي الروسية الصينية نهائياً، وتمّ تثبيت تبعية أذربيجان أيضاً للنفوذ الأمريكي.

وأمّا في الحرب الروسية الأوكرانية فأمريكا أخذت موافقة أوكرانيا من قبل على منح الشركات الأمريكية نصف أرباح عائدات استخراج المعادن النادرة في جميع الأراضي الأوكرانية.

فنهج التفرد الأمريكي في حل الأزمات من وجهة نظر إدارة ترامب الحالية وتحقيق المكاسب المادية باتا من أبرز ملامح السياسة الخارجية الأمريكية في حل النزاعات الخارجية، وقد ساهما في تفكيك التكتلات الدولية، ومُحاصرة الصين وعزلها عن روسيا، وإضعاف أوروبا، وبقاء أمريكا هي القوة الوحيدة المُتسيّدة في الموقف الدولي.

لقد باتت أمريكا تُدرك جيداً أنّ روسيا ليست الاتحاد السوفيتي، وأنّها لا تُشكّل أي خطر على الغرب، وإنّ غرقها في أوحال أوكرانيا لمدة ثلاث سنوات يؤكّد حقيقة ضعفها العسكري مُقارنةً بأمريكا، وأنّها لا تحتاج إلى حلف كحلف الناتو لمُواجهتها، فلا داعي لبقاء حلف يتم الإنفاق عليه بأموالِ أمريكية ليس له ضرورة، وأدركت أمريكا أنّ الأوروبيين ضعفاء جداً وهم من يجرّونها لمحاربة روسيا لتحقيق مصالحهم بالنيابة عنهم، وأنّهم لم يعودوا يستحقون كل هذا الإنفاق عليهم من الخزينة الأمريكية، وأنّهم ليسوا طرفاً دولياً يُعتدّ به، لذلك يجب إسقاطهم من الموقف الدولي، وبدا هذا واضحا في مؤتمر واشنطن الذي عُقد في ٢٠٢٥/٠٨/١٨ والذي حضره زعماء بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والمفوضية الأوروبية والناتو بالإضافة إلى الرئيس الأوكراني زيلينسكي حيث ظهروا جميعاً كالتلاميذ أمام مُعلمهم، فلم يُعاملهم ترامب مُعاملة الأنداد، بل احتقرهم وأجلسهم مصفوفين على كراسي خشبية أمامه كمُستمعين، وقطع اجتماعه معهم، واتصل أمامهم بالرئيس الروسي بوتين ليُسمعهم ما يُريد، وليُظهر لهم مدى وضاعتهم وعجزهم وتفاهتهم.

وهكذا كان هذا الاجتماع بمثابة إعلانٍ أمريكي مفصليٍ بأنّهم لم يعودوا من اللاعبين الرئيسيين في الحلبة الدولية، وأنّ اعتمادهم على المظلة الأمريكية في المائة سنة الماضية أدّت إلى هذه النتيجة من الضعف والهوان، فهم حتى أعجز عن توفير ضمانات أمنية لأوكرانيا بمفردهم.

فالعالم اليوم إذاً بات يتكون من ثلاث قوى عسكرية عالمية مؤثّرة وهي أمريكا وروسيا والصين، ويتكوّن فقط من قوتين عالميتين من ناحية عسكرية واقتصادية وهما أمريكا والصين.■

الأمة كيان حيٌّ لا يموت... وقبل المولود لا بد من مخاض

عبد المحمود العامري - ولاية اليمن

إن ما أصاب أمة الإسلام من تصدع وتمزق لم يكن صدفة، بل كان نتيجة هزة عنيفة أطاحت برأس الأمة، الخلافة فانهارت المنظومة السياسية، وتعطلت أجهزة الحكم، وتكسرت الأوصال. فوقعت الأمة كعملاق أُسقط أرضاً شاخصةً عيناها، منخسفاً صدغاها، واعتقد كثير من الجهلة والخونة أن هذا العملاق قد مات إلى الأبد، لكن الحقيقة أن قلب الأمة لا يزال نابضاً لم يتوقف، ولم يمت.

إن هدم الخلافة لم يكن حدثاً عابراً في التاريخ، بل كان أخطر كارثة سياسية حلّت بالأمة الإسلامية منذ بعثة نبينا محمد ﷺ. فغيابها يعني تعطيل أحكام الإسلام، وإقصاء الشريعة عن الحكم، وتمزيق وحدة الأمة، وتسليم رقابها للكافر المستعمر.

كيف تم الهدم؟

كانت الخلافة العثمانية، رغم ما أصابها من ضعف في أواخر عهدها، هي آخر مظلة سياسية تجمع المسلمين تحت راية واحدة، وتحكمهم بشرع الله وتدافع عن ديارهم. ومع دخول القرن العشرين، تكالبت قوى الكفر بقيادة بريطانيا وفرنسا، وبدعم من عملائهم في الداخل، على تفكيك هذه الدولة. وأخطر أدواتهم كان مصطفى كمال عليه لعنة الله والناس أجمعين الذي نفّذ مشروع الإلغاء بعد الحرب العالمية الأولى. فبعد أن أعلن نفسه قائداً للجيش التركي، وقاد حملة «تحرير وهمية»، انقلب على الخليفة وألغى الخلافة رسمياً في ٣ آذار/مارس ١٩٢٤م، بقرار من البرلمان التركي، وسُجن وطُرد كل من عارضه.

من أسباب هدم الخلافة العثمانية

نقول إن ما جرى من إلغاء رسمي للخلافة على يد عميل الإنجليز مصطفى كمال، لم يكن مجرد قرار سياسي، بل زلزالاً حضارياً هز كيان الأمة، بعد أن تآمرت عليها قوى الكفر مستغلة ثغرات قاتلة داخل الجسد الإسلامي، والضعف الداخلي في الدولة وتفكك مؤسساتها، وانتشار الفساد الإداري، وغياب الاجتهاد السياسي والشرعي، واعتماد الدولة على الولاءات الشخصية لا على الكفايات.

ولعل أبرز هذه الأسباب:

١- ضعف فهم الإسلام: أي ضعف فهم المسلمين لدينهم حين انفصلت المفاهيم عن الواقع، وصار الإسلام شعائر بلا نظام حياة، ومواعظ بلا تطبيق عملي، فقد الناس الإحساس بالإسلام كدين منه الدولة. وانحسر الفقه في الطهارة والعبادات، وتُرك الحكم والاقتصاد والاجتماع للهوى والتقليد، فصار الإسلام في أعين الناس فكرة مثالية وحصل القصور، فتحول الإسلام في حياة المسلمين إلى طقوس فردية، لا نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً يحكم الحياة. فغابت الأحكام وتقلصت مظاهر تطبيق الشريعة.

٢- دخول الغزو الثقافي الغربي بلاد المسلمين: لم يُطلق الغرب الرصاص، بل أطلق الكتب والمفاهيم والمناهج التي مزقت عقل المسلم. فروّج أن حضارته عقلانية مأخوذة من الإسلام نفسه، وأن الديمقراطية لا تخالف الإسلام! فانخدع بها بعض المفكرين، وبدأت الأمة تنسلخ من عقيدتها وهي تظن أنها تتطور. فدخل الغرب بعقله وقيمه، وأوهم الأمة أن نهضته مأخوذة من حضارتها، وروّج لقيم القومية والديمقراطية والعلمانية، حتى أصبح كثير من المسلمين يدافعون عن أدوات استعمارهم وهم لا يشعرون، وأبرز هذه الدول الغربية (بريطانيا، فرنسا، روسيا) خططت وحرّضت على تفكيك الخلافة العثمانية، وساعدت الحركات الانفصالية، واستغلت أي خلل لضرب الخلافة من الداخل.

٣- دور العملاء والجواسيس: أبرزهم مصطفى كمال، الذي استُخدم لهدم الخلافة رسمياً عام ١٩٢٤م باسم «الإصلاح والتحديث»، بينما هو في الحقيقة وكيل الغرب في تنفيذ مشروع الهدم.

٤- عسكرة العمل السياسي: بدل العمل مع الأمة، لجأت بعض الفصائل والقادة إلى استخدام القوة العسكرية كوسيلة للحكم، ما أسقط المعايير الشرعية وعمّق الانقسامات. ففقدت البيعة معناها، ولم تتحقق شروط الحكم الشرعي، وبدأ الانحدار مع ضعف الأمة وتهميش دورها في المحاسبة والنصرة.

٥- التساهل وتغاضي الخلفاء عن انفصال الولايات بالاستقلال عن مركز الخلافة، كما حصل في الشام والأندلس، ما أدى تدريجياً إلى نزع قدسية الوحدة السياسية الإسلامية، وتمهيد الطريق لثقافة «الدولة القُطرية» التي استكمل الغرب ترسيخها بعد إسقاط الخلافة رسمياً عام ١٩٢٤م، فصارت الأمة مقطعة بلا راعٍ، ولا دولة تجمعها، ولا جيش ينصرها.

٦- منح صلاحيات مفرطة للولاة وتوسيع صلاحياتهم: إعطاء الولاة سلطة واسعة دون رقابة، فتح شهوتهم للسيادة، فاستقلوا بقراراتهم، وتمردوا على مركز الخلافة وتحولت الولايات إلى دويلات. هكذا سقطت وحدة الدولة، وتهيأت الساحة لأعداء الإسلام للتدخل، والسيطرة، ثم الهدم. فأطماع الحكم والتوسع جعلتهم يتصرفون كملوك مستقلين، ففُقدت هيبة الخليفة.

٧- استخدام المفاهيم الإسلامية الخاصة بالقيادة العسكرية والتغافل عن المفاهيم الفكرية وخاصة في الفتوحات العثمانية، حيث تم التركيز على التوسع العسكري دون تربية الأمة على مشروع الإسلام الفكري والسياسي، فغابت الغاية من الرسالة وحمل الدعوة الإسلامية.

٨- إغلاق باب الاجتهاد: جمد الاجتهاد في مسائل الدولة والمجتمع، وتوقف العقل عن الإبداع في إطار الإسلام.

٩- التخلف العلمي والصناعي: في الوقت الذي تقدّمت فيه أوروبا، تراجعت الدولة العثمانية، فتعمق الشعور بالدونية والانهزام الداخلي.

١٠- خسارة الأراضي بلا رد: تجرأ الأعداء على اقتطاع أراضٍ من الدولة الإسلامية كإيران

والبلقان والجزيرة، دون رد يذكر، فاهتزت صورتها داخلياً وخارجياً.

١١- تزييف الوعي العام للأمة وتسهيل الغزو التنصيري: تحت شعارات «الإنسانية والتعليم والمساعدات»، فتسلل التبشير النصراني، ينشر الفتنة ويجند أبناء الأمة ضد دينها وأمتها من خلال نشر أفكار التغريب، والتعليم الأوروبي، والمفاهيم الليبرالية والديمقراطية، وتم تصوير الخلافة بأنها «تخلّف وظلم».

١٢- تصاعد النعرات القومية: أُثيرت النعرات القومية (العربية، التركية، الكردية، الأرمنية...) وتم تأسيس حركات انفصالية تُحمل المسلمين شعار «الاستقلال» و«التحرر»، فاستُبدلت برابطة العقيدة رابطة الدم والعرق، بينما الهدف تمزيق الخلافة.

١٣- التغلغل اليهودي والصهيوني: كان لليهود دور فعّال في دعم مشروع التمزيق بتمويل وتخطيط ودعم أوروبي كامل، واستغلالهم كأدوات للهدم من الداخل.

١٤- غياب الحزب السياسي المبدئي القائم على الإسلام آنذاك: حيث كان المسلمون بلا تكتل سياسي واعٍ يعمل على منع الانهيار أو إعادة البناء مباشرة.

١٥- الخيانة من بعض الزعامات المحلية: من أبرزهم (الشريف) حسين الذي تحالف مع بريطانيا فيما يسمى الثورة العربية الكبرى، مقابل وعود كاذبة بإنشاء «مملكة عربية» فكان أحد المعاول لهدم الخلافة.

١٦- الحرب العالمية الأولى: دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا فهُزمت، وكانت تلك الذريعة الكبرى لتقسيم تركتها، ومن ثم القضاء على ما تبقى من كيان الخلافة وكان دور بريطانيا المباشر هو الدور الأبرز في هدم الخلافة، فقد دعمت الحركات القومية، وزرعت العملاء، وروّجت للأفكار الغربية عن الوطنية والدولة المدنية. وقام اللورد كرزون وزير خارجيتها، بعد هدم الخلافة، بقوله الشهير في البرلمان البريطاني: «لقد قضينا على تركيا، ولن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا على قوتها الروحية: الخلافة والإسلام».

بعد هدم الخلافة... من خان ومن أضل؟

بعد أن أسقطت دولة الخلافة، انفتح الباب أمام الاستعمار الكافر ليعيث في الأمة فساداً، ويُعيد تشكيل خارطتها السياسية بما يخدم مصالحه. وقد ثبت بالتاريخ والوثائق أن الحركات القومية والوطنية كانت رأس الحربة في هذه الجريمة، فبدل أن تدافع عن وحدة الأمة وعزتها، خدمت الأجنبي، ومزّقت الأمة، وحاربت الإسلام باسم «التحرر» و«الاستقلال»!

لقد ثبت بالتواتر السياسي أن هذه الحركات، من قوميين عرب وفرس وأتراك، ومن دعاة «الاستقلال الوطني»، لم تكن سوى أدوات بيد الاستعمار تنفّذ مخططاته، وتزرع الانقسام، وتُضفي الشرعية على أنظمة لا تمت للإسلام بصلة. فالأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة تكشف حجم المؤامرة الدولية والمحلية على الإسلام والمسلمين، وتوضح أن ما جرى لم يكن مجرد انتقال سياسي، بل عملية مدروسة لهدم

الإسلام من جذوره، ومن أهم هذه الأسرار:

١- صناعة عملاء بثوب وطني: الغرب بقيادة بريطانيا، لم يلغِ الخلافة بيده، بل صنع شخصيات «وطنية» كمصطفى كمال، ألبسوه عباءة التحرر والاستقلال، بينما هو ينفذ مشروع إلغاء الحكم الإسلامي. فبريطانيا كانت وراء الستار وهو وأتباعه كانوا أداتها، والوثائق البريطانية تثبت تنسيقه معهم والدعم الكامل الذي تلقاه. وحتى اليوم يعترف بعض ساسة الغرب أنهم «ألغوا الخلافة بأيدٍ مسلمة».

٢- تحالف الغرب مع الحركات القومية والعلمانية: تم ترويج القومية التركية والعربية لتحطيم الوحدة الإسلامية. فالقومية فرّقت، بينما كانت الخلافة توحّد. وتم دعم هذه الحركات بالمال والإعلام والتدريب. فلم تكن الكارثة الكبرى في تاريخ الأمة الإسلامية، سوى نتيجة لمخطط شيطاني نفذته أدوات خبيثة تنكّرت بلبوس الوطنية والقومية، فمزّقت الأمة إلى دويلات، وأحالت الدولة الجامعة إلى كيانات ممزقة، بلا قيادة، بلا مشروع، بلا كرامة.

٣- الهجوم الفكري قبل السياسي: تم ضرب مفهوم الخلافة في عقول المسلمين قبل إلغائها. رُوّج لفصل الدين عن الدولة، وتم تحريف معاني الجهاد، والشورى، والخلافة، حتى أصبح المسلمون لا يدركون قيمتها.

٤- توقيت الإلغاء كان مدروساً: بعد إنهاك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، واحتلال أراضيها، وفرض معاهدة لوزان المهينة، أعلنوا إلغاء الخلافة في ٣ آذار/مارس ١٩٢٤م مستغلين ضعف المسلمين.

٥- سكوت العلماء وخذلانهم: كثير من العلماء سكتوا أو باركوا، أو اشتغلوا بالفروع، بينما رأس الإسلام يُقطع. وقلة من العلماء نددوا فتم نفيهم أو قتلهم.

٦- قمع الإسلام وتجفيف منابعه بعد الإلغاء: أغلق مصطفى كمال المدارس الشرعية، حوّل المساجد إلى متاحف، منع الأذان بالعربية، وكتب القرآن بالحروف اللاتينية، وألغى الحجاب علناً، واستبدل بالشريعة القانون السويسري!

٧- الخوف من نهضة الأمة مجدداً: الغرب يدرك أن الإسلام لا يموت، فكان لا بد من إلغاء الخلافة ومحاربة من يعمل لها حتى لا تكون نقطة انطلاق من جديد. واليوم ما زالوا يرتعدون من مجرد الحديث عن الخلافة.

قامت عدة حركات لعودة الخلافة ولكنها أخفقت حيث إنها حاولت إحياء الأمة بعيداً عن منهج الإسلام، من قومية ووطنية وعلمانية وديمقراطية... كلها هباء منثور، كمن أراد تقسيم تركة رجل حيّ لم يمت بعد!

والأصل أن المنهج أولاً... فلا قيمة لعمل لا يقوم على أمر الله، ففي الحديث الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» رواه مسلم. هذه القاعدة النبوية الصريحة تُغلق الباب أمام كل عمل لا يستند إلى الإسلام منهجاً وشريعة، مهما بدا ظاهرُه نافعاً أو مبهراً. فهي ميزان لا يُحابي، تزن به

الأمة أعمالها، وحركاتها، ومشاريعها، بل وحتى نواياها.

وإذا ألقينا نظرة صادقة على ما قامت وتقوم به حركات التغيير الوطنية أو القومية أو الإقليمية نجد أن الانحراف لم يكن فقط في النتائج، بل في المنطلقات والمنهج ذاته. لم تكن هذه الحركات مخلصةً لله كما يبدو، ولم تنطلق من عقيدة الإسلام، بل من فكر غربي دخيل، صنعه المستعمر، وزيّنه المستغربون.

فوقفت وتربعت في المستنقع وتريد تغيير المستنقع وهي غارقة فيه وليس الحديث عن هذه الحركات من باب احترام الرأي الآخر أو تقويم جهود الآخرين، بل لبيان الانحراف السافر، والسفه المنهجي، وخطورة سوء العاقبة في الدنيا والآخرة عسى أن يثوب من التبس عليه الأمر من أتباعهم، فيعودوا إلى الجادة، ويرجعوا عن الغيّ قبل فوات الأوان. فهم من رفعوا ويرفعون هذا النظام الرأسمالي لإطالة عمره.

فبعض أفراد الحركات الإسلامية رغم حسن النية، وبعض الجهد، فإن الخلل المنهجي، والانزلاق نحو أنظمة الحكم الجاهلية، أو الاندماج في أدوات النظام الدولي الكافر، قد أفقد الكثير منهم البوصلة فظهرت هذه الحركات واختلفت في المنهج والتصور:

- حركات إصلاحية تسعى لتحسين الواقع دون تغييره جذرياً.

- حركات صوفية وتعبدية انعزلت عن السياسة.

- حركات جهادية واجهت الأخطاء ولكن افتقرت للمشروع السياسي.

- حركات دستورية انخرطت في أنظمة الطاغوت.

- وحركات انقلابية لم تحقق التغيير المنشود بسبب غياب الفكرة السياسية الواعية.

- حركات تراثية كالسلفية وجمعية إحياء التراث.

وهذا الواقع الذي نعيشه اليوم لا يحتاج إلا للتغيير الجذري، وحقيقة لا يوجد غير حزب التحرير الذي يعمل في الأمة وقد تأسس في الخمسينات على يد الشيخ الأزهري العلامة تقي الدين النبهاني رحمه الله، تبنى الحزب طريقة الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية، فركز على بناء الوعي السياسي، والتثقيف الحزبي، وطلب النصرة من أهل القوة، دون اللجوء إلى العنف، أو الدخول في أنظمة الكفر القائمة. ورفض أي مساومة أو تنازل، واضعاً قول النبي ﷺ **«يَا عَمِّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ»**، شعاراً عملياً لمسيرته. ومع أن الأنظمة العميلة سعت لتشويه صورة العمل الإسلامي الجاد، فأنشأت حركات مدجنة تحت عباءة الدين، تُسوّق للأنظمة وتمنع التغيير الحقيقي، بل وتحارب دعاة الحق، فإن حزب التحرير بقي ثابتاً على مبدئه، لم يبدل ولم يتلون، ولم ينحنِ للرياح مهما اشتدت، ولم يستمد مشروعيته من أنظمة الحكم، بل من الإسلام وحده.

إذا إن أي عمل لا يكون «عليه أمر الله

ورسوله» فهو مردود. فليكن المنهج الإسلامي الخالص هو نقطة البداية، والبوصلة والطريق. فيكفي تخبطا وسيرا في الطريق المعوج حيث إن محاولات النهضة كانت بين التخبط والتوجيه الاستعماري فلم تكن الكارثة التي حلت بالأمة الإسلامية مع هدم الخلافة وليدة اللحظة، بل سبقتها محاولات كثيرة لوقف التدهور، لكنها كانت كلها محاولات فاشلة لسبب جوهري: غياب الفكرة الصحيحة والطريقة المستقيمة والوعي السياسي الشرعي.

يقول الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله في كتيب التكتل الحزبي: «منذ القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) قامت حركات متعددة للنهضة... لكنها لم تنجح، وإن تركت أثراً لمن جاء بعدها».

وسبب فشلها كما وضّح:

- لم تُبنَ على فكرة واضحة محددة.
- لم تسلك طريقة مستقيمة.
- لم يقم بها أشخاص واعون.
- لم تتأسس على رابطة شرعية صحيحة.

فبعض الحركات الإسلامية قد حاولت تفسير الإسلام بما يوافق الواقع الفاسد، وتطويعه لتبرير بقاء الأنظمة الوضعية، بدل تغييره بالحق.

لهذا، فإن المراجعة الجذرية لمجمل العمل الإسلامي باتت ضرورة لا رفاهية. وأصبح العدو الحقيقي للإسلام يدرك عودة الخلافة إلى منصة الحكم كما صرح نتنياهو في قوله لا نريد خلافة على شواطئ البحر المتوسط، وكذا من سبقوه من أعداء الإسلام، ففي ظل هذه التصريحات المتكررة لقادة الغرب، وعلى رأسهم هذا النتن حول رفضهم القاطع لقيام الخلافة، يتجلى بوضوح الخوف العميق الذي يعتريهم من عودة الإسلام كقوة سياسية موحدة. وتكرار تصريح النتن مؤخراً بأن «إسرائيل لن تسمح بقيام خلافة إسلامية عند حدودها الشمالية أو الجنوبية، أو في الضفة الغربية»، مؤكداً أن حكومته «لن تتراجع أو تخضع» في هذا الشأن، وهذا التصريح ليس الأول من نوعه، فقد سبق أن أعرب قادة غربيون عن مخاوفهم من عودة الخلافة الإسلامية. على سبيل المثال، حذر توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، في عام ٢٠٠٥ من «حركة تسعى إلى إزالة دولة إسرائيل وإلى إخراج الغرب من العالم الإسلامي وإلى إقامة دولة إسلامية واحدة تحكم بالشريعة الإسلامية عن طريق إقامة دولة الخلافة لكل الأمة الإسلامية»، كما أعرب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ عن قلقه من أن «الإرهاب الدولي أعلن حرباً على روسيا بهدف اقتطاع أجزاء منها وتأسيس خلافة إسلامية».

هذه التصريحات المتكررة تعكس إدراك هؤلاء القادة بأن الخلافة الإسلامية تمثل تهديداً حقيقياً لمصالحهم في المنطقة، وأنها قد تعيد توحيد الأمة الإسلامية تحت راية واحدة، ما يعزز من قوتها ونفوذها على الساحة الدولية.

وفي المقابل، فإن هذه المخاوف الغربية تؤكد أن فكرة الخلافة الإسلامية ليست مجرد

حلم بعيد المنال، بل هي مشروع واقعي وفرض رباني يسعى المسلمون لتحقيقه، مستندين إلى تاريخهم المجيد وتعاليم دينهم الحنيف. وإن الله سبحانه وتعالى قد وعد بنصر عباده المؤمنين فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(النور: ٥٥).

لذا، فإن محاولات الغرب إجهاض مشروع الخلافة ستبوء بالفشل، لأن إرادة الله فوق كل إرادة، ولأن الأمة الإسلامية بدأت تستعيد وعيها وتنهض من سباتها، متجهة نحو تحقيق وحدتها واستعادة مجدها وعزتها.

ولن تنجح الأمة في نهضتها، إلا إذا عرفت الفكرة والطريقة والرابطة، وعملت لإقامة الإسلام في دولته، على بصيرة ووعي. فنهضتنا لا تكون إلا بالإسلام، وبطريقة الرسول ﷺ في إقامة الدولة، لا بالأنظمة القومية ولا بالدعوات المضللة. ولا يخفى على أحد أن الحركات القومية والوطنية هي أدوات الاستعمار وسكين في خاصرة الأمة، فمنذ أن هدمت الخلافة، وسيف الانقسام ينهش جسد الأمة، لم يكن ذلك مصادفة ولا قدَراً محتوماً، بل نتيجة مؤامرة مدروسة، نفذتها قوى الاستعمار عبر الحركات القومية والوطنية، التي لعبت الدور الأبرز في تفكيك وحدة المسلمين وتمزيق دولتهم الجامعة.

وقد أشار كثير من الباحثين المنصفين والمطلعين على كواليس التاريخ إلى أن هذه الحركات لم تكن سوى صناعة استعمارية هدفها القضاء على الإسلام السياسي، وتقديم بديل مشوّه قائم على القومية والحدود المصطنعة. فهؤلاء لم يقيموا أوطاناً، بل زرعوا كيانات وظيفية تخدم العدو وتؤذي الأمة، فهذه الحركات التي ادعت أنها ستحرر الأمة وتقودها، ارتضت بالحكم الذي صنعه الغرب الكافر، فلم تكن إلا خناجر في خاصرتها، ابتعدت عن وحدة المسلمين، وحاربت كل العاملين لعودة الخلافة حسب ما يملى لها من حكام الجور بل وانتشر الجهل والفساد والتبعية...

وبعد مرور قرن على تحكُّمهم المطلق في بلاد المسلمين، وهم ينهلون من ثقافات الغرب الكافر كيف يراهم الغرب الكافر وماذا قدّموا للأمة؟ وماذا خسروا بعد فقدان أمهم الحاضنة؟

الجواب باختصار:

١- تصنيفهم في ذيل الأمم: إن الغرب الكافر صنف جميع تلك الدويلات الكرتونية أنها ما زالت مصنفة ك«دول العالم الثالث»، عاجزة عن النهوض، منهارة اقتصادياً، غير منتجة علمياً أو صناعياً، بلا أفق حضاري أو مشروع نهضة. أي أصابها الضعف والهوان فظلت عاجزة عن التقدم، تدور في فلك التبعية، بلا مشروع نهضوي حقيقي.

٢- الخيانة الكبرى: لم تقاتل هذه الأنظمة أعداء الأمة قط، بل حمت كيان يهود، ودعمته بأموال الأمة وحاربت كل مقاوم وكل حامل دعوة ينهج من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بدل أن تحارب الغزاة. فلم تدخل أي دولة من هذه الدول الكرتونية في حرب جادة مع أعداء الأمة، وإذا تحركت جيوشهم فإما لحماية

العروش أو لقمع شعوبهم، أو في مسرحيات حربية انتهت بتوسيع نفوذ الكافر وتقسيم المسلمين أكثر. وهذا ما نراه أمام أعيننا وأكبر دليل على ذلك سكوتهم المخزي عما يفعله كيان يهود في غزة من حصار مطبق وإبادة جماعية.

٣- تجفيف منابع الإسلام: وقفوا جميعاً سداً منيعاً ضد دعاة التغيير الحقيقي، وشيطنوا كل عمل إسلامي يهدف لإقامة الشرع، وشرعنوا الفساد السياسي والاجتماعي كتحلل الأخلاق والدين وازدادت أعداد تاركي الصلاة ومانعي الزكاة، وارتفعت معدلات السفور والانحلال، وتفشى الفساد بأنواعه حتى أصبح الإسلام غريباً في أرضه، وحُورب تحت شعار الوسطية والاعتدال.

٤- الانهيار الاقتصادي والفساد المالي: دمرت اقتصادهم الديون الربوية، وتضخمت البطالة، وسُرقت ثروات الأمة وأودعت في بنوك الغرب سرحة بلا رجعة، لا إنتاج، لا اكتفاء ذاتي، لا صناعة حقيقية. فقط تبعية مذلة ومخزية. انهارت العملات، تفشت البطالة، ارتفعت الديون، وسُرقت الأموال العامة، بينما نُهبت موارد الأمة لمصلحة الاستعمار.

ولن تعود الأمة لمكانتها، إلا إذا نبذت هؤلاء الحكام وهذه الحركات وعادت لمشروع الإسلام، تحت قيادة مخلصة واعية، تحمل الإسلام على بصيرة، كما أمر ربنا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[يوسف: ١٠٨]

٥- تمزيق النسيج المجتمعي: أذكوا نيران الفتن الطائفية والمناطقية، وبثوا الشك والريبة بين شرائح الأمة عبر أجهزة أمنية قمعية تعمل لحماية النظام لا الأمة.

٦- الخضوع المطلق للغرب: عملوا جميعاً تحت مظلة الاستعمار الغربي، وانصاعوا لمقرراته وأوامره، وربطوا مصير الأمة بمنظمات كافرة كالأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي، فالمسلمون اليوم ممتهنون يتحكَّم بهم حكام رويبضات قسَّموا بلادهم وحكموهم بالحديد والنار وساموهم سوء العذاب، لاحقوا أشرافهم واعتقلوا الصادقين ومن يعمل لنصرة الدين، وجعلوا البلاد مسرحاً لدول الكفر، وصار المسلمون أرقاماً تتلى بين قتلى ومشردين، وصُنِّفوا باسم العالم الثالث، وتحكَّم بهم صندوق النقد الدولي وشرعة الطاغوت المتحدة تحت قيادة رأس الكفر أمريكا، ولم يبقَ لهم محل بين الأمم والدول، في حين كانت دولتهم هي الدولة الأولى في العالم قرونا مديدة.

إذا هذه الأحزاب والكيانات التي أنشأها الغرب بعد إسقاط الخلافة هي دول ضرار، لا تصلح أن تكون نواة نهضة، ولا حاضنة لحكم الإسلام. بل لا بد من اقتلاعها من الجذور، وإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة على أنقاضها، فهي وحدها القادرة على توحيد الأمة، ورد الكرامة، وتحقيق العدل، ونصرة المستضعفين ولا يخفى على الجميع النتائج الكارثية التي نتجت بعد هدم الخلافة: **أبرزها:**

١- تمزق الأمة إلى أكثر من ٥٠ كياناً وطنياً هزيلاً، يخضع لحدود سايكس بيكو، تفكك وحدة الأمة الإسلامية ما أضعف قوتها وجعلها عرضة للتدخلات الأجنبية.

٢. غياب الحكم بالإسلام وسيادة قوانين الغرب الوضعية، وتعطيل جميع الأحكام الشرعية ما أدى إلى تفشي الظلم والفساد وسفك الدماء دون حسيب أو رقيب.

٣- نهب ثروات المسلمين واستباحة بلادهم من فلسطين إلى العراق وسوريا واليمن...الخ خاصة النفط والمعادن، واستُخدمت هذه الثروات لتمويل مشاريعهم، بينما بقيت شعوب الأمة تعاني من الفقر والحرمان.

٤- ضياع الهوية الإسلامية وسيطرة فكر قومي ووطني علماني مزّق الولاء والبراء.

٥- عدم الاعتصام بحبل الله وأصبح المسلمون متفرقين والله يناديا ويحثنا ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾

٦- فقدان السيادة السياسية: أصبحت الدول الكرتونية في بلاد المسلمين تابعة للغرب في قراراتها السياسية والاقتصادية، وفقدت القدرة على اتخاذ قرارات مستقلة تخدم مصالح شعوبها.

٧- ضاعت فلسطين.

٨- فقدت المرأة المسلمة حقوقها التي كفلها لها الإسلام، وأصبحت عرضة للاستغلال والتمييز وسلعة للتجارة.

٩- تهميش دور العلماء والدعاة الحقيقيين وإعلاء مكانة علماء السلاطين، ما أدى إلى تضليل الأمة.

١٠- فقدت الأمة الإسلامية دورها في نشر الإسلام والدعوة إليه، وأصبحت في موقع التلقي لا العطاء.

وهناك العديد والعديد مما فقدناه بعد هدم دولة الإسلام لا يسعنا المجال لسرد ذلك.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٥-١٧]

فلا يجوز لمسلم أن يثق بهذه الأنظمة، أو أن ينخدع بشعاراتها، بل يجب أن يضعها في قفص الاتهام، ويُنكر عليها، ويرتبط فقط بمشروع الإسلام، مشروع الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]

فالواجب الشرعي والسياسي على كل مسلم غيور أن يعمل بجدّ لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، كما بشر بها رسول الله ﷺ.

فالمخاض الذي تمر به الأمة اليوم هو تمهيد لولادة الخلافة الراشدة، وإن هذه المعاناة التي نعانيها هي جزء من سنن الله في التغيير، فيا أبناء أمة الإسلام لا تيأسوا من روح الله، ولا تصدقوا من أعلن موتكم، بل أفيقوا، واصطفوا مع العاملين لإعادة الرأس إلى الجسد، فتقوم الخلافة، ويعود العز، ويتحقق وعد الله بنصره لعباده الصادقين.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٥١]

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات.■

كيف تحوّل أمير الجهاد إلى وزير خارجية؟

يوسف أرسلان

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير- في ولاية أفغانستان

تُعد وزارة الخارجية بوصفها مؤسسة لتنظيم السياسة الخارجية ظاهرةً حديثة، تعود نشأتها إلى أوروبا في القرن السابع عشر. وقد دخلت هذه المؤسسة إلى البنية السياسية للعالم الإسلامي خلال فترة انحطاط الخلافة العثمانية، وأحدثت تحوّلًا جذريًا في نظرة المسلمين إلى السياسة الخارجية. تهدف هذه المقالة إلى بيان أن مقاصد السياسة الخارجية في الإسلام - ومنها حمل الدعوة ونصرة المظلومين- لا يمكن تحقيقها من خلال وزارة الخارجية بالشكل المعاصر، لأن هذه المؤسسة قد أُنشئت أصلًا لخدمة النظام العلماني للدولة القومية، وتأمين ما يُسمى «المصالح الوطنية».

تأسست وزارة الخارجية الحديثة لأول مرة في فرنسا عام ١٦٢٦م. وقبل ذلك، كانت الشؤون الخارجية في أوروبا تُدار من قبل البلاط الملكي أو الكنيسة، بدوافع شخصية أو دينية أو سلطوية، لكن مع نشوء الدول القومية وانتشار الأفكار القومية والعلمانية، أصبحت الحكومات بحاجة إلى جهاز رسمي وثابت ومنظم لإدارة علاقاتها الخارجية. ومن هنا، أُسّست وزارة الخارجية بهدف خدمة «المصالح الوطنية»، والتعامل مع النظام الدولي، وإبرام المعاهدات، وتأمين المصالح السياسية والاقتصادية.

وفي المقابل، فإن السياسة الخارجية في الدولة الإسلامية كانت مبنية على العقيدة الإسلامية والرسالة العالمية للإسلام. فقد كانت السياسة الخارجية جزءًا أساسيًا من واجبات الخليفة. ولم يكن هدف هذه السياسة حماية الحدود الاستعمارية، وإنما كان توسيع رقعة الدعوة الإسلامية، وإزالة العوائق من طريقها، وإقامة سلطان الإسلام في العالم.

أما النظام الحديث للدولة القومية، فقد قَيَّد المفاهيم السياسية ضمن الحدود الجغرافية، وقيّد مفهوم الحرب كذلك، ليصبح مقتصرًا على «الدفاع عن الأرض»، ولهذا سُمِّي المسؤول عن الحرب بـ «وزير الدفاع» بدل «أمير الجهاد». بينما في الإسلام، لا يقتصر الجهاد على الدفاع فقط، بل هو في جوهره فريضة ابتدائية لإظهار الدين، وإزالة الفتنة، وإقامة الحق. هذه كانت رسالة الأنبياء، وقد ورثتها الأمة الإسلامية؛ فالنبي ﷺ جعل من حمل الدعوة أساسًا لسياسته الخارجية، واتخذ من الجهاد طريقًا لذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. إن سياسة الرسول في الدولة، وغزواته، ومراسلاته إلى الملوك، وسياسة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، كلّها تبرهن بوضوح على هذا الأصل الثابت غير القابل للتغيير، وهو أن الأمة الإسلامية يجب أن تقيم الخلافة، وتسيّر سياستها الخارجية على أساس نشر الإسلام من خلال الدعوة والجهاد، لتقود البشرية وتهديها.

في القرن السادس عشر الميلادي، أسّست الخلافة العثمانية أول هيئة رسمية للشؤون الخارجية تحت اسم «رئيس الكُتّاب» أو «رئيس

أفندي»، وقد تزامن هذا مع بداية تراجع الخلافة العثمانية، وكانت هذه الهيئة تُدار من قبل نُخب يونانية نصرانية، كانوا من رعايا الخلافة لكنهم لم يكونوا ملتزمين الإسلام، ولم تكن هذه الهيئة ذات أهمية مركزية، بل كانت تُعنى فقط بالمراسلات الخارجية، وبدأت تتوسع تدريجيًا في القرن السابع عشر.

وفي القرن التاسع عشر، وبالتأثر بعصر التنوير الأوروبي، ظهرت نخبة جديدة في الدولة العثمانية من المثقفين المتغربين، أمثال مصطفى رشيد باشا، وعلي باشا، وفؤاد باشا، ومدحت باشا. وقد قام هؤلاء بتأسيس وزارة خارجية على النمط الأوروبي، واقتبسوا من النظم الغربية، ليطلقوا بذلك مرحلة تُعرف بـ«عصر التنظيمات» (١٨٣٩- ١٨٧٦م). في هذه الحقبة، تأسست أول وزارة خارجية رسمية في الدولة العثمانية عام ١٨٣٦م تحت اسم «نظارة الخارجية»، وكان مصطفى رشيد باشا أول من تولاها. ولم يكن فقط وزيراً، بل كان صاحب الدور الرئيس في صياغة «فرمان كلخانة»، الذي أسّس لمرحلة التنظيمات. وكان رشيد باشا يحمل توجهات تجديدية، وتأثر أثناء عمله الدبلوماسي في فرنسا وبريطانيا بالأفكار الليبرالية الغربية.

ويُعد مدحت باشا أحد أبرز رموز هذا التيار؛ فقد كان من أوائل الداعين إلى المشروطية، وأحد مؤسسي الدستور العثماني عام ١٨٧٦م. وقد سعى هؤلاء «الإصلاحيون» إلى إدخال القيم الليبرالية الغربية في بنية الدولة العثمانية. ومن أبرز سمات «عصر التنظيمات» أنه أزاح الجهاد فعلياً من السياسة الخارجية للدولة، واستبدل به الدبلوماسية والتعامل مع الغرب على أساس المصالح الوطنية.

وفي الفترة نفسها، أُسّست وزارات أخر على النمط الغربي، مثل وزارات الداخلية، والعدل، والتعليم، والمالية، وأُدخل الهيكل البيروقراطي الحديث، وهو ما لا يزال قائماً حتى اليوم في البلاد الإسلامية.

وعلى الرغم من أن السلطان عبد الحميد الثاني الذي تولى الخلافة من سنة ١٨٧٦ إلى سنة ١٩٠٩م وقف بقوة ضد هذه «الإصلاحات» وسعى إلى إحياء دور الإسلام في الدولة، فإن العلماء التقليديين لم يمتلكوا حلًا جذريًا لهذا الانحطاط، بل وقفوا ضد أي تغيير، ومن جهة أخرى، فإن النفوذ الأجنبي والدعم الخارجي لحركة المشروطية ساعد على استمرار هذا المسار. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإصلاحات كانت في ظاهرها تهدف إلى إنقاذ الدولة العثمانية، لكنها في الواقع لم تُنقذها، بل مهدت الطريق لسقوطها واستبدال الجمهورية العلمانية بها.

وقد بلغت حركة المشروطية أوجها بظهور «جمعية الاتحاد والترقي» وشخصيات كـمصطفى كمال المعروف بـ«أتاتورك» الذي عمد إلى إلغاء الخلافة نهائياً عام ١٩٢٤م، وأعلن قيام الجمهورية العلمانية التركية. ولم يقتصر أثر هذا التحول على تركيا فقط، بل وصل إلى بقية بلاد المسلمين، مثل إيران وأفغانستان.

ففي إيران، تبنّى المشروطيون الإيرانيون المتأثرون بالدستور العثماني والمفكرين المتغربين، عام ١٩٠٦م صياغة دستور وبرلمان. وكان رضا شاه بهلوي، الذي بدأ عسكريا مخلصا للمشروطية، بعد وصوله إلى الحكم، من أبرز الداعين إلى تحديث الدولة. وقد واصل سياسة تحديث إيران على أساس الاستبداد، ومركزية الدولة، والقومية الفارسية، وإقصاء العلماء عن

السياسة. وقد أعاد تنظيم مؤسسات الدولة على النمط الأوروبي، وسار بإيران نحو دولة علمانية، بدعم من بريطانيا والنخبة المتغربة. وهذه الحركة، بما فيها من تأثيرات غربية، هي التي أدت إلى غرق المجتمع الإيراني في مستنقع القيم الغربية حتى اليوم.

أما في أفغانستان، فقد حاول أمان الله خان في عشرينيات القرن العشرين، مستلهماً التجربة التركية نفسها، إصلاح النظام الملكي واستبدال قوانين حديثة به. وكان محمود طرزي، أحد أبرز المؤثرين في هذا التوجه؛ إذ تأثر كثيرا بالحركة الإصلاحية العثمانية، بعد إقامته لسنوات في أراضي الخلافة. وعند عودته إلى أفغانستان، أنشأ مجلات ونشر أفكارًا تجديدية، وكان له دور محوري في تشكيل فكر أمان الله خان وبعض القادة. ويُعد محمود طرزي المؤسس الفكري لحركة المشروطية في أفغانستان، ومن خلاله بدأت عملية تأسيس مؤسسات الدولة على النمط الغربي، بما في ذلك وزارة الخارجية.

وفي عام ١٩١٩م، عُيّن طرزي أول وزير خارجية رسمي لأفغانستان، ومن هنا بدأت عملية «علمنة» السياسة الخارجية في البلاد بشكل ممنهج.

إن وزارة الخارجية في بنيتها الحديثة، مؤسسة علمانية، هدفها حماية مصالح الدولة القومية، وتنظيم العلاقات الدولية، والتعامل مع القوى العالمية، سواء أكانت محارِبة أم غير محارِبة. وقد صُممت هذه المؤسسة لخدمة النظام العالمي للدول القومية، وضمن إطار القيم الليبرالية. ولذلك، ليس مستغربًا أن تكتفي وزارات الخارجية في الدول الإسلامية، في أزمات كقضية غزة، بإصدار بيانات إدانة لفظية فقط، من دون أي تحرك عملي.

ونظرًا إلى كون وزارة الخارجية الحديثة قد بُنيت على مفاهيم غربية، فمن الطبيعي أن يتولى قيادتها شخصيات تميل إلى القيم الغربية، وتفتقر إلى العمق الإسلامي، ويغلب عليها منطق المساومة والمصلحة. وهذا المسار ليس حديث العهد، فقد كانت أول هيئة خارجية في الدولة العثمانية تُدار من قبل نخب يونانية نصرانية غير مرتبطة بالإسلام، ثم في القرن التاسع عشر قادها رموز التغريب كرشيد باشا، واليوم تُدار وزارات الخارجية في العالم الإسلامي من قبل أشخاص لا يلتزمون أحكام الإسلام، بل يتقنون تقديم المصالح على المبدأ، ويرون أن الأهداف الإسلامية مجرد شعارات خيالية أو عوائق سياسية.

إن وزارة الخارجية في الدول القائمة في البلاد الإسلامية هي وليدة عصر انحطاط الخلافة العثمانية، ومحصلة مباشرة للفكر العلماني الغربي. وقد جاءت بديلًا من السياسة الخارجية الإسلامية القائمة على إظهار الدين من خلال الدعوة والجهاد. وبهذا، تحولت السياسة الخارجية للأمة من رسالة عالمية إلى دبلوماسية منهزمة، اقتصادية التوجه، ومحصورة داخل حدود الدول القومية.

وما لم تعد الأمة إلى أصل سياستها الخارجية الإسلامية، وتُحيي دور الجهاد في إطار دولة الخلافة، فإن وزارة الخارجية لن تتمكن، بل لن ترغب أصلًا في تنفيذ النهج الإسلامي، حتى لو تزيّا مسؤولوها بلحى وعمائم وألقاب إسلامية!■

مشروع طريق التنمية ونظام «تي. آي. آر» (TIR)
مشروع استعمار اقتصادي بواجهة استثمارية

بهاء الحسيني

تسارع الحكومة العراقية اليوم إلى تنفيذ ما يسمى «مشروع طريق التنمية»، والذي يربط ميناء الفاو بالخليج عبر العراق إلى تركيا وأوروبا، متزامنًا مع تطبيق نظام «تي. آي. آر» (TIR) للنقل البري الدولي. ويُقدّم المشروع كأنه نهضة اقتصادية ومفصل تجاري يعيد إلى العراق دوره الحضاري، إلا أن هذا المشروع، في حقيقته، ليس سوى جزء من منظومة الهيمنة الغربية – التركية – الخليجية على موارد العراق وموقعه الجغرافي، ضمن تقسيم دولي للأدوار والممرات والطاقة، بعيدًا من إرادة الأمة ومصلحتها الحقيقية.

أولًا: ما مشروع طريق التنمية ونظام «تي. آي. آر»(TIR)؟

شروع طريق التنمية: طريق بري وسكة حديد تبدأ من ميناء الفاو، تمر بمحافظات جنوبية ووسطى (البصرة، ذي قار، بابل، بغداد...)، وتنتهي شمالًا عبر نينوى إلى زاخو فتركيا، ومنها إلى أوروبا.

نظام «تي. آي. آر(TIR) ": نظام جمركي دولي يُطبق بإشراف الأمم المتحدة ومنظمة النقل الدولي (IRU) يُسرّع عبور الشحنات ويمنع التفتيش في كل دولة، عبر ختم موحّد وتتبع إلكتروني.

أدوات الرقابة: منصة (TIR-EPD) لإرسال البيانات مسبقًا للجمارك، ومنصة أوروك العراقية لتتبع الشاحنات، وأجهزة تتبع فضائي بالأقمار الصناعية.

ثانيًا: حقيقة المشروع وأبعاده الاستعمارية:

- ظاهريًا:

تقليل زمن الشحن من أوروبا إلى الخليج بنسبة ٦٠–٨٠٪. خفض كلفة الشحن بـ٣٨٪.

استثمارات وفرص عمل وتطوير بنى تحتية.

لكن واقعًا:

رهن سيادة العراق لمصالح قوى خارجية:

تركيا تستفيد جيوسياسيًا من تمرير الشحنات إلى أوروبا عبر أراضيها.

الخليج يُنهي اعتماده على إيران وقناة السويس.الغرب يحقق منفذًا بريًا سريعًا للموارد دون الحاجة إلى أمن البحر.

العراق ممَر لا مركز:

المشروع لا ينهض بصناعة ولا زراعة، بل يحوّل العراق إلى ممر ترانزيت.

لا توجد رؤية وطنية لتطوير قدرة الدولة الإنتاجية.

هيمنة الشركات الأجنبية:

الشركات المنفذة ومشغلو الطريق والخدمات هم شركات تركية وصينية وخليجية.

عقود التشغيل تمتد لعقود تحت مظلة البنك الدولي ومنظمات الغرب.

إقصاء الإرادة الشعبية والأمة:

لم يُعرض المشروع على الأمة.

لا يُخضع لمراقبة شرعية ولا محاسبة سياسية حقيقية.

ثالثًا: الثغرات الأمنية والسياسية

مناطق رخوة أمنيًا (نينوى - الأنبار - الحدود):

خطر تهريب السلاح، التنظيمات المسلحة، تهديد الاستقرار.

ضعف سيطرة الدولة المركزية على بعض المحافظات.

التحكم الخارج بالسيادة:

تركيا قد تستغل المشروع ورقةً للنفوذ في نينوى والمنافذ.

الخليج يسعى لاختراق اقتصادي بأغطية استثمارية.

غياب الشفافية:

لا توجد عقود منشورة للرأي العام.

العوائد مجهولة المصير، ويُتوقع نهبها عبر أدوات الدولة العميقة.

رابعًا: من يتحكم بالعوائد؟

تُدفع رسوم عبور وجمارك وتأمينات تذهب إلى: وزارة المالية وهيئة الجمارك وهيئة المنافذ. لكن تُدار في بيئة فساد سياسي وإداري معروفة.

لا توجد ضمانات بأن الأموال ستُوظف لصالح الشعب أو البنية الوطنية.

خامسًا: الموقف الشرعي من المشروع

نظام «تي. آي. آر.» (TIR) واتفاقياته تخضع لهيمنة الغرب والأمم المتحدة، وتُفقد الدولة قدرتها على ضبط تجارتها وفق أحكام الشريعة في حال قيام الدولة الإسلامية المرتقبة

المشروع يجعل العراق تابعًا اقتصاديًا لا قائمًا بقدراته الذاتية، ويخالف مبدأ الاستقلال الاقتصادي والسياسي في الإسلام.

الأمة ليست طرفًا في اتخاذ القرار، والسلطان الحقيقي فيه للأجنبي والشركات لا للأمة، مما يُخالف أصل السلطان للأمة.

الحل الشرعي: نظام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة

إن النهضة الاقتصادية الحقيقية، وضمان استغلال ثروات العراق وموقعه الجغرافي، لا تكون عبر ربط البلاد بمشاريع استعمارية، بل عبر:

إقامة دولة الخلافة الراشدة التي توظّف الموقع والثروات في خدمة الإسلام لا الكافر المستعمر.

إنشاء منظومة نقل وصناعة وزراعة ضمن خطة اكتفاء ذاتي، تُحرر الأمة من الحاجة إلى الخارج.

تحرير الإرادة السياسية والاقتصادية من التبعية الغربية، وإخضاع كل مشروع للرقابة الشرعية.

جعل المشروع مشروع أمة تحمل رسالتها، لا دولة وظيفية تمرر الشاحنات والهيمنة.

أيها المسلمون في العراق:

لا تنخدعوا بزخرف الشعارات الاقتصادية.

لا تقبلوا أن يُباع بلدكم باسم التنمية والاستثمار.

طالبوا بجعل ثرواتكم وموقعكم في خدمة مشروعكم الإسلامي.

حاسبوا الحكام والعملاء الذين يفرّطون بالسيادة ويتواطؤون مع الغرب وتركيا والخليج على حسابكم.

ولا نهضة حقيقية، ولا سيادة، ولا كرامة... إلا بدولة الخلافة التي تحكم بشرع الله، وتحمي الأمة من كل استغلال وذل وتبعية.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾.■

تغير السلوك بتغير المفاهيم

الخنساء مثالا.

ريان عيسى- الموصل

الإسلام العظيم كله حكم وعبر وتنظيم وتشريع وتحول للناس فيه من حال بئيس ومتدهور إلى حال ذي رفعة وعز وفخار وترفع عن سفاسف الأمور. وفي موضوعنا اليوم سنتطرق إلى مثال واحد من تلك الأمثلة الكثيرة جدًا في واقع المسلمين في صدر الإسلام.

إن دعوة الإسلام التي نزلت على قلب سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد ﷺ لم تكن قاصرة على الرجال دون النساء، بل إن النساء كُنَّ في مركز تلك الدعوة المباركة، فضَحَّين بأنفسهن في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل، وما الشهيدة سمية بنت خياط عنا ببعيدة، وكانت أول شهيدة ارتقت في سبيل الإسلام، على الرغم من المدة القصيرة التي تشرفت بها بالإسلام. من هنا ندرك عظمة هذا الدين العظيم وشموله لكل الناس، فبدخول أي انسان الإسلام يكون مسؤولًا عنه كمسؤولية خيار الصحابة، كأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي الكرار رضي الله عنهم أجمعين.

من هذا المنطلق سنتطرق إلى سيرة صحابية جليلة كان لها أثر كبير في التاريخ الإسلامي العظيم ألا وهي الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحارث)، أشعر العرب كما وصفها رسول الله ﷺ، وكان عمر رضي الله عنه كلما رآها طلب منها بعضًا من شعرها لشدة جماله وسهولته، وكأنه جدول ماء بارد ينساب إلى القلب بلا استئذان. وقيل إن الخنساء في اللغة تعني «الظبية»...

أسلمت الخنساء في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة، وفدت مع وفد من قبيلتها «بني سليم»، وحسن إسلامها بفضل الله عز وجل، وكان الرسول ﷺ يستمع إلى شعرها، وكان يقول لها: «هيه يا خنساء».

اشتهرت الخنساء بكثرة بكائها على أخويها صخر ومعاوية اللذين قتلا أيام

الجاهلية، ولها أبيات كثيرة جدًا في هذا الأمر، بل طغى هذا الأمر على شعرها إلى ما بعد الإسلام.

ومن شعرها في رثاء أخيها صخر:

قذى بعينكِ أمْ بالعينِ عوَّار

أمْ ذرَّفتْ إذْ خلتْ منْ أهلها الدَّارُ

كأنّ عيني لذكراهُ إذا خَطَرَتْ

فيضٌ يسيلُ علَى الخدَّينِ مدرارُ

تبكي لصخرٍ هي العبرَى وَقدْ ولهتْ

وَدونهُ منْ جديدِ التُّربِ أستارُ

تبكي خناسٌ فما تنفكُّ مَا عمرتْ

لها علَيْهِ رَنينٌ وهيَ مِفْتارُ

تبكي خناسٌ علَى صخرٍ وحقَّ لهَا

إذْ رابهَا الدَّهرُ أنَّ الدَّهرَ ضرَّارُ

فشكا بعض الناس من قومها أمرها إلى عمر بن الخطاب خليفة رسول الله ﷺ، لأن شعرها ورثاءها لأخيها بهذا الشكل يثبت أنها لا تصبر على قضاء الله وحكمته.

وذكروا أنها أقبلت في حاجة، فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها، فأتوا عمر بن الخطاب، فقالوا: «هذه خنساء، فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والإسلام»، فقام عمر وأتاها وقال: «يا خنساء»، قال: فرفعت رأسها، فقالت: «ما تشاء وما الذي تريد؟» فقال: «ما الذي أقرح مآقي عينيك؟»، قالت: «البكاء على سادات مضر»، قال: «إنهم هلكوا في الجاهلية، وهم أعضاد اللهب، وحشو جهنم»، قالت: «فداك أبي وأمي، فذلك الذي زادني وجعاً»، قال:«فأنشديني ما قلت»، قالت: «أما أني لا أنشدك ما قلت قبل اليوم، ولكني أنشدك ما قلته الساعة»، فأنشدته أبياتًا من الشعر، فقال عمر: «دعوها فإنها لا تزال حزينة أبدًا»، ولم ينهها ولم يزجرها وكان حنونًا معها ورقيقًا.

هذا كان حال الخنساء مع أخويها في الجاهلية وشطر من الاسلام على قلته، لكن الإسلام تغلغل إلى أعماق أعماق نفسها، وفهمت دينها وغاية وجودها في هذه الحياة، فسارعت وشاركت في الفتوح الأولى للمسلمين خارج الجزيرة العربية، وتوجهت مع بنيها إلى فتح العراق تحت قيادة أسد من أسود الإسلام، ألا وهو سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وليلة المعركة قالت لأبنائها الأربعة: «يا بَنيّ، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا

إلـه إلا هـو، إنكـم لبَنُـو رجـل واحد، كمـا أنكم بنـو امرأة واحـدة، ما خُنْتُ أباكـم، ولا فضحت خالكـم، ولا هَجَّنْـتُ حَسَـبكم، ولا غَبَّـرْتُ نَسَـبَكم، وقـد تعلمون مـا أعد الله للمسـلمين مـن الثـواب الجزيـل فـي حـرب الكافريـن.

واعلمـوا أن الـدار الباقيـة خيـر مـن الـدار الفانيـة، يقـول اللـه تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلَّذِيـنَ ءَامَنُـواْ ٱصْبِـرُواْ وَصَابِـرُواْ وَرَابِطُـواْ وَٱتَّقُـواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. فإذا أصبحتم غدًا إن شـاء الله سـالمين، فاغْدُوا إلى قتـال عدوكـم مستبصرين، وبالله علـى أعدائه مسـتنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شـمَّرَتْ عن سـاقها، واضطرمـت لظًى على سـياقها، وجللت نـارًا علـى أرواقهـا، فتيممـوا وَطِيسـها، وجالدوا رئيسـها عنـد احتدام خميسـها؛ تظفـروا بالغُنم والكرامـة، فـي دار الخلـد والمُقامـة».

اسـتمع أبناؤهـا إلى وصيتهـا، فذهبـوا إلى القتال واستشـهدوا جميعًا في معركة القادسـية، ولم يعـد إليهـا أحـد منهـم، ولمـا وصل الخنسـاءَ نبـأ وفـاة أبنائهـا لم تفـزع ولم تحـزن عليهـم كحزنهـا عـلى أخيهـا صخـر، ولكنهـا صـبرت وقالـت قولتهـا المعروفـة: «الحمـد للـه الـذي شرفنـي بقتلهـم، وأرجـو مـن ربي أن يجمعنـي بهـم في مسـتقر رحمتـه».

وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الأربعة (وكان لكل منهم مئتا درهم) حتى توفيت رضي الله عنها.

هكـذا غـيّر الإسـلام مـن مفاهيمهـا ومـن تفكيرهـا ومـن سـلوكها تجـاه المـوت الـذي لا مفـر لأحـد منـه، ولم يـرد عنهـا أنهـا قالـت حتـى بيـت شـعر واحـد تـرثي فيـه أولادهـا وفلـذات كبدهـا والتـي فجعـت بهـم في يـوم واحـد.

لـذا نقـول: إن المسـلم الـذي لا يغـير فكـرُ الإسـلام ومفاهيمـه مـن قناعاتـه وسـلوكه ومـن مواقفـه في الحيـاة، ولا يغـيّر مـن واقعـه فهـذا يعنـي أن هـذا المسـلم لم يفهـم دينـه ولم يتعامـل مـع الإسـلام عـلى أنـه منهـاج حيـاة، وسـبيل للوصـول إلى مرضـاة اللـه عـز وجـل، ومـن بعـد ذلـك دخـول الجنـة برحمـة اللـه، وهـذا هـو واللـه الفـوز العظيـم.

اللهـم برحمتـك التـي وسـعت كل شيء وبكرمـك ومنتـك ارحمنـا واحشرنـا مـع سـيدنا ونبينـا محمـد ﷺ ومـع أصحابـه رضي اللـه عنهـم في مسـتقر عفـوك ورحمتـك يـا أرحـم الراحمـين.■

الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه...

مؤنس حميد العراق

في زحمة الاسماء اللامعة من الصحابة الكرام ،يبرز اسم مصعب بن عمير كرمز للتضحية والثبات..مصعب حامل مشعل الدعوة في او مراحلها حيث كان شابا من خيرة شباب مكة ،عرف بجماله وطيب رائحته ،ورفاهية عيشه ،حتى قال عنه الصحابة رضي الله عنهم جميعا ،مارأينابمكة احدا انعم عيشا من مصعب بن عمير . اسلم هذا الصحابي الجليل في بداية الدعوة السرية متأثرا بدعوة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) رغم ما كان عليه من مكانة اجتماعية ، وعندما علمت امه خناس بنت مالك عارضت اسلامه بشدة ، وبلغ بها الامر ان سجنته في بيتها في محاولة منها لمنعه من ملاقاة النبي (صلى الله عليه وسلم) لكنه ثبت على دينه وخرج اكثر ايمانا وشدة وعزيمة ..فبعد بيعة العقبة الاولى اختاره النبي (صلى الله عليه وسلم) ليكون اول داعية وسفير للاسلام الى المدينة ،فكان له شرف السبق في تأسيس اول نواة للمجتمع المسلم هناك ،ومن ابرز من اسلم على يديه في المدينة : اسعد بن زرارة ،وسعد بن معاذ ،واسيد بن حضير كلهم اصبحوا قامات في بناء دولة الاسلام الاولى ..شارك هذا الصحابي في غزوة بدر ،وكان حامل لواء المسلمين في احد وهناك ابلى بلاء حسنا حتى استشهد وهو يدافع عن رسول الله ، حيث قطعت يداه وهو ممسك باللواء فسقط اللواء ورفعه الصحابة الكرام .وعندما وجد جثمانه الطاهر لم يجدوا له كفنا كاملا فكانوا اذا غطوا رأسه ظهرت قدماه ،واذا غطواقدميه ظهر رأسه .. نعم الايمان قد يغير مسار الانسان من حياة الرفاهية الى طريق التضحية في سبيل المبدأ فالشباب قادرون على تحمل المسؤوليات الكبرى من الدعوة ،من اجل عودة الحياة الاسلامية .فمصعب رضي الله عنه مثال ناصع وقدوة ،وكلمة طيبة قد تفتح القلوب وتحدث تغيرا لمن اراد التغير .سيرة مصعب ليست مجرد قصة صحابي ،بل هي درس عميق في الثبات والصدق والاخلاص ،لقد عاش حياة قصيرة لكنها مليئة بالاثر الطيب ،نعم لقد كان حقا اول سفير في الاسلام من رواد التغير الحقيقي لبداية هذا الدين ..فلنشعل في قلوبنا جذوة الايمان ،ولنحمل راية كما حملها مصعب ولنجعل من حياتنا رسالة لا راحة ومن ايامنا منابر لا مقاعد ...كن انت مصعب هذا الزمان ...فان الامة لازالت ترتقب ...■

تأملات في سورة العصر

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾

راسم ابو مأمون خاطر

هذه السورة سورة مكية أُنزلت قبل الهجرة، آياتها ثلاث، وهي بذلك من أقصر سور القرآن كالكوثر والنصر، سميت بسورة العصر لإقسام المولى ﷻ بالعصر، وهو الزمان أو جزء منه.

هذه السورة وإن كانت قليلة الآيات، قصيرة المقاطع، فإنها كثيرة الدلالات عظيمة في معانيها، بليغة في مبانيها، جمعت نهج الإسلام وطريقه وأبرزت معالم الدين وأركانه وتضمنت علوم القرآن وغاياته... في غاية الإيجاز وأجمل البيان أوضحت سعادة الإنسان أو شقاوته وبينت أسباب الفوز والنجاح من الخسارة والخسران... يقول عنها الإمام الشافعي رحمه الله: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم».

وبتأمل هذه السورة نخرج بما يأتي:

١- ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾: قسم، ولكن لماذا يقسم ربنا؟ هل لكي نصدقه؟ والجواب طبعًا بالنفي، فالله هو الحق ولا يقول إلا الحق، إذاً سبحانه يقسم لكي ننتبه إلى أهمية ما يقوله لنا ويخبرنا به، فهذا افتتاح مشوق افتتحت به السورة الكريمة؛ حيث ابتدأ بأسلوب القسم، وهو من أساليب التوكيد، والقسم يؤذن بأهمية ما بعده، وهي طريقة من طرق الكلام الذي يراد الانتباه إليه والعناية به. أقسم الله تعالى بالعصر، لأهميته ولتبيين مكانته ولتعظيم منزلته، ولِما فيه من العجائب؛ أمة تذهب وأمة تأتي، وقدَر ينفذ وآية تظهر، وهو هو لا يتغير، ليل يعقبه نهار، ونهار يطرده ليل.

٢- «أل التعريف» في الإنسان للاستغراق، يعني: كل إنسان في خسارة، الأبيض والأسود.. الغني والفقير، العربي والأعجمي... إلخ كلهم في خسارة وخسران، وفي هذا إثبات الخسارة التامة لكل إنسان. وبيَّنَتِ السورةُ أنَّ الناسَ فريقانِ: فريقٌ يلحَقُهُ الخسرانُ، وفريقٌ نَاجٍ مِنَ الخذلانِ مستثنى

من الخسارة العامة ممن استثناهم الله تعالى في السورة.

٣- قوله تعالى: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾، يعني أن الإنسان غارق في الخسارة، وتحيط به من كل جانب، وهذا أبلغ من أن يقال: «إن الإنسان لخاسر»... والخسر ضد الربح، ومعناه: الهلاك والنقصان، والمراد بالخسارة: دخول النار، ونيل غضب الجبار، وعدم دخول الجنة وعدم نيل رضوان الله. واللام المؤكِدة ﴿لَفِي﴾ تفيد أنه مغمور في الخسر الذي يحيطه من كل جانب، فعليه أن يلتمس سبيل النجاة... فالكافر خاسر، والمنافق خاسر، والمشرك خاسر، والمرتد خاسر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٩]، وقال: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]، وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

٤- ثم يقول تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾.

هذا استثناء من عموم الخسارة التي تلحق كل إنسان، ولا يسلم منها إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر؛ فـ «إلا» هذه هي المنجية من الخسران وهي:

١ - الإيمان بكل ما أمر الله به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

٢ - العمل الصالح: وهذا شامل لأفعال الخير كلها المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده الواجبة والمستحبة، والعمل الصالح هو العمل بالأوامر، واجتناب النواهي الشرعية. والتعريف في قوله {الصَّالِحَاتِ} تعريف الجنس مراد به الاستغراق، فهو يشمل جميع الأعمال الصالحة وتشمل الدوائر الثلاث: علاقة العبد بربه؛ أي العقائد والعبادات كالصلاة والصيام والدعاء، وعلاقة الإنسان بنفسه بالملبوسات والمطعومات، وعلاقة الإنسان بغيره وتشمل المعاملات والعقوبات. والعمل الصالح ثمرة الإيمان لا ينفك عنه وهو من آثاره الطيبة وثمراته اليانعة.

والعمل الصالح كي يكون مقبولاً عند الله تعالى؛ لا بد من توافر شرطين فيه، هما:

أ- أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى؛ لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى» (متفق عليه)، ولقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ» (رواه النسائي).

ب- أن يكون العمل موافقًا للسنة؛ لقول الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]. يقول الإمام الرازي: «أن يكون أخلص الأعمال وأصوبها؛ لأن العمل إذا كان خالصًا غير صواب لم يُقبَل، وكذلك إذا كان صوابًا غير خالص، فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى، والصواب أن يكون على السنة».

٣- والتواصي بالحق فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، التواصي هو التناصح، فالدين النصيحة كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «الدين النصيحة»، قالوا: «لمن يا رسول الله؟» قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». (رواه البخاري ومسلم). ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «المؤمنون نَصَحَة والمنافقون غَشَشَة». والتواصي بالحق هو من جملة العمل الصالح، وإنما خصَّه تعالى بالذكر لأهميته، ولفت الانتباه إليه؛ إذ قد يظن بعض الناس أنه يكفيه للنجاة أن يكون مؤمنًا وعاملًا بالصالحات فحسب، ولا يهمه غيره بعد ذلك.

٤- التواصي بالصبر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: فكما أننا محتاجون إلى التواصي بالحق، فنحتاج كذلك إلى التواصي بالصبر على ذلك الحق؛ التواصي بالصبر على طاعة الله، والتواصي بالصبر عن معصية الله، والتواصي بالصبر على أقدار الله المؤلمة. وعطف التواصي بالصبر على التواصي بالحق رغم أن التواصي بالصبر من التواصي بالحق؛ لبيان أهمية الصبر وعظم أثره في تحقيق النجاة والسلامة من الخسارة. وذكر التواصي بالصبر بعد التواصي بالحق مُشْعِرٌ بأن الدعوة إلى الحقِّ تحتاج إلى مصابرة وصبر، وأن الدعاة والمصلحين قد يلحقُهم أذًى من الطواغيت وأعوانهم؛ فعليهم الصبر على حمل الدعوة، وتحمل ما ينالونه من الأذى، فطريق الحق ليس مفروشاً بالرياحين والورود، بل إنه محفوف بالعقبات والأشواك والسدود، والثبات عليه يحتاج إلى صبر جميل وعزيمة قوية.

وفي السورة الإشارة إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن من يقوم به غالباً يتعرض لأذى الناس؛ فلزمهم التواصي بالصبر كما قال لقمان لابنه يوصيه: ﴿يَبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

«فبالأمرين الأولين يكمل الإنسان نفسه -أي: بالإيمان والعمل الصالح- وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره -وهما التواصي بالحق وبالتواصي بالصبر- وبتكميل الأمور الأربعة يكون الإنسان قد سلم من الخسران وفاز بالربح العظيم».■

لقاءات رسمية بين السلطة السورية وكيان يهود

الجزيرة ٢٩/ ٧/ ٢٠٢٥

استضافت العاصمة الفرنسية في ٢٤ تموز/ يوليو الماضي لقاء بين وفد حكومي سوري وآخر (إسرائيلي) يعد الأول والأرفع من نوعه منذ عام ٢٠٠٠، برعاية أميركية، وذلك إثر تصاعد كبير للتوتر في الجنوب السوري بفعل التدخل (الإسرائيلي) المستمر والمتصاعد. وقد ترأس الوفد السوري وزير الخارجية أسعد الشيباني وضم مسؤولين من الخارجية والمخابرات، وترأس الوفد (الإسرائيلي) وزير الشؤون الإستراتيجية رون ديرمر.

ووفقا لتلك المصادر، يكون هذا اللقاء الأول بهذا المستوى منذ اجتماع وزير الخارجية السوري الأسبق فاروق الشرع مع نظيره (الإسرائيلي) إيهود باراك في الولايات المتحدة ضمن مباحثات للسلام رعتها واشنطن على غرار الاجتماع الأخير.

وسبق لقاء باريس اتصالات غير مباشرة بين سوريا وكيان الاحتلال، ثم لقاء مباشر انعقد في العاصمة الأذربيجانية في ١٢ يوليو/تموز الماضي وفقاً لما أكدته مصادر إعلامية إسرائيلية

الوعي: حققت أميركا عبر من تزعم فصيلا مقاتلا جهاديا في الثورة أكثر مما استطاعت أن تحققه عبر صنيعتيها السابقين بشار وحافظ.

الشيخ بلال الرفاعي نجل مفتي سوريا يدعو من على منبر الجمعة إلى اتّباع نظرية جان جاك روسو والتحول في الولاء عن الأمة إلى «الوطن»!

قال الشيخ بلال أسامة الرفاعي في إحدى خطب الجمعة إنّ المشروع السياسي الإسلامي فشل في تحقيق غايته بسبب شدّة العداء والكيد له من دول العالم، ولا بدّ لنا أن نتبنّى أفضل الممكن، وهو مشروع المواطنة الذي يكون فيه «الولاء للوطن» على حدّ تعبيره، والذي ستدخل فيه سورية! وقال إنّ أهل الشام لا يحبّون التطرّف بل يحبون الوصول إلى الشيء رويدا رويدا أو الانخراط في مشروع المواطنة إلى أن يأذن الله.. ثم شرع يحكي للحضور في خطبة الجمعة عن جان جاك روسو وتفاصيل مشروعه ورأي الإسلام في أفكاره وفي مفهوم المواطنة.

ودعا إلى تأسيس هيئة شرعية سياسية قانونية لإعادة دراسة مفهوم المواطنة ولترى هل

بالإمكان التوفيق بين الإسلام والمواطنة، وليخرجوا بصورة ترضي الله عز وجل ضمن الممكن على حدّ تعبيره! ورأى أن «ترسيخ مفهوم المواطنة الذي تُوافق عليه الدول الكبرى في بلدنا سيوقف هذا الجرح النازف»!

الوعي: الدعوة إلى أسس الحضارة الغربية التي أنشأت طريقة العيش الغربية الضالة، من على منابر المساجد وفي خطب الجمعة، وعلى ألسن أشخاص يُنظر إليهم على أنهم مرشدون للناس يعلّمونهم الإسلام وأحكامه دليل صارخ على مدى عمق تأثير الغزو الفكري والحضاري الغربي في أبناء الأمة الإسلامية. كما أن هذا النموذج يشير إلى حالة الإفلاس الفكري لدى الذين تولوا الحكم في سوريا بعد سقوط نظام الإجرام.

عون لـ لارجاني: «نرفض أي تدخل في شؤوننا الداخلية من أي جهة»

فرانس ٢٤- ٨/١٣/ ٢٠٢٥

أخطرَ رئيس لبنان جوزاف عون أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي لاريجاني، برفض بلاده «أي تدخل» في شؤونها الداخلية، واصفا تصريحات إيرانية معارضة لقرار الحكومة بشأن نزع سلاح (حزب الله)، بـ»غير مساعدة».

وجاءت زيارة لاريجاني إلى بيروت، بعد تكليف الحكومة الأسبوع الماضي الجيش بوضع خطة تطبيقية لنزع سلاح الجماعة الشيعية التي تمدها حليفتها طهران بالمال والسلاح، قبل نهاية العام. ويأتي ذلك، على وقع ضغوط أمريكية ومخاوف من أن تشن (إسرائيل) حملة عسكرية واسعة جديدة في لبنان، بعد أشهر من نزاع مدمر بينها وبين الحزب خرج منها (حزب الله) منهكا.

عون: «غير مسموح حمل السلاح والاستقواء بالخارج»

في هذا الشأن، أوردت الرئاسة اللبنانية في بيان أن عون قال للمسؤول الإيراني خلال لقائه: «نرفض أي تدخل في شؤوننا الداخلية من أي جهة»، موضحا أن «لبنان الذي لا يتدخل مطلقا بشؤون أي دولة أخرى ويحترم خصوصياتها ومنها إيران، لا يرضى أن يتدخل أحد في شؤونه الداخلية».

الوعي: أميركا على عادتها، لا تأبه لمن دار في فلكها، فرغم ما قدمته إيران لأمريكا من خدمات جليلة، في أفغانستان والعراق والشام ومشاركتها في سفك دماء الملايين من المسلمين لم تتوانَ أميركا عن تحطيم نفوذها وإعادتها إلى حجمها السابق بعد أن استنفدت أغراضها منها في الإقليم، حتى تجرأ عليها من كان بالأمس يحسب لها ألف حساب.

عراك بالأيدي داخل البرلمان العراقي

العين الإخبارية- ٥/ ٨/ ٢٠٢٥

شهدت جلسة مجلس النواب العراقي، توتراً كبيراً تطور إلى اشتباك بالأيدي بين عدد من النواب، وذلك أثناء التصويت على تعيين أعضاء مجلس «الخدمة الاتحادي»، ما دفع إلى رفع الجلسة بشكل مفاجئ.

ووفقاً لمراسل «العين الإخبارية» في بغداد، فقد اندلعت مشادة كلامية حادة بين النائب عن الإطار التنسيقي (الشيعي) علاء الحيدري والنائب عن تحالف العزم (السني) رعد الدهلكي، بشأن خلافات حول آلية التصويت والترشيحات، قبل أن تتحول إلى اشتباك جسدي.

وبحسب مصادر نيابية مطلعة لـ«العين الإخبارية»، فإن النائب الأول لرئيس البرلمان والقيادي في الإطار الشيعي محسن المندلاوي اضطر إلى رفع الجلسة نتيجة الاشتباك، حيث شهدت الجلسة تنازعاً بين نائبين، ما أدى إلى ارتباك تنظيمي وفوضى داخل القاعة».

وقالت المصادر إن «قوة أمنية من البيشمركة الكردية التي تتمركز في مجلس النواب تدخلت لفض النزاع بين الحيدري والدهلكي».

الوعي: منذ ان احتلت أميركا العراق عام ٢٠٠٣ م وهي تتلاعب بمكوناته وأغلب تياراته السياسية في حالة من تجاذب النفوذ بينها وبين إيران. والخلاصة هي تنفيذ تلك الأطراف من حيث تدري أو لا تدري للخطط الأمريكية، تارة باسم (التشيع)، وتارة باسم الدفاع عن حقوق (السنة). وتجعل تلك التجمعات السياسية من نفسها رَكوبا ذَلولا للاستعمار، ولا تجيد سوى «الملاكمة» فيما بينها.

نظام السيسي يضاعف استيراد الغاز من كيان يهود

قال رئيس الوزراء المصري مصطفى مدبولي: إن الاتفاق الذي جرى مع شركة «نيو ميد إنرجي» الشريك في حقل ليفياثان (الإسرائيلي) هو تمديد للاتفاقية الموقعة في عام ٢٠١٩ إلى عام ٢٠٤٠. وشدد مدبولي، على أن ذلك لن يؤثر على موقف بلاده الداعم لفلسطين.

ويعد هذا أول تعليق مصري رسمي حول ما ذكره إعلام عبري ووزير الطاقة (الإسرائيلي) قبل أيام، بخصوص توقيع القاهرة مع «نيو ميد إنرجي» (الإسرائيلية)، اتفاقية توريد غاز بقيمة ٣٥ مليار دولار. ووصف وزير الطاقة (الإسرائيلي) إيلي كوهين، تلك الصفقة، حينها، بأنها «الأكبر

في تاريخ» بلاده.

وقال مدبولي: «حدث جدل ولغط بشأن ما أعلن بخصوص تمديد الاتفاق مع شركة نيو ميد إنرجي، الشريك في حقل ليفياثان (الإسرائيلي)، وهو الاتفاق الساري مع مصر، حيث توجد هذه الاتفاقية منذ ٢٠١٩».

وأضاف: «كل ما توافقنا عليه هو مد أجل هذه الاتفاقية إلى عام ٢٠٤٠، مع توقعاتهم بأن يكون هناك زيادة في الإنتاج، ولذا فيطلبون أن تدخل هذه الزيادة في منظومة الغاز بمصر، باعتبار أن الدولة المصرية مركز إقليمي للطاقة».

وشدد على أن وجود الاتفاقية لم يؤثر على «موقف مصر القوي الواضح منذ وقوع الأزمة في غزة»، ومن رفضها كل محاولات «تصفية القضية الفلسطينية، أو تهجير أشقائنا الفلسطينيين من أراضيهم».

وتستخدم القاهرة هذه الإمدادات في تغطية جزء من الطلب المحلي، كما يعاد تصدير كميات منها على شكل غاز مُسال من خلال محطتي الإسالة في إدكو ودمياط إلى الأسواق الأوروبية والآسيوية.

الوعي: رئيس الوزراء المدبولي يحاول عبثا مخادعة الناس وهو لا يخدع إلا نفسه. فخيانة نظام مصر للإسلام وأهل فلسطين لا تحصيها مجلدات. وأولها الاعتراف بكيان يهود بدل العمل على القضاء عليه

شابان شجاعان يحتجزان ضباطا في مركز أمني في مصر مطالبَين بفك الحصار عن غزة.

القاهرة ـ «القدس العربي»:

ساعات فصلت بين تداول رواد مواقع التواصل الاجتماعي مقطعا مصورا لشابين قالا إنهما اقتحما قسم شرطة واحتجزا ضباطا للمطالبة بفتح معبر رفح، والنفي الذي أصدرته وزارة الداخلية للواقعة.

وظهر في الفيديو، الشابان محسن محمد مصطفى (من سكان منطقة ١٥ مايو في حلوان، وهو معتقل سابق قضى ٦ أشهر بالسجن قبل إخلاء سبيله)، وابن خاله أحمد الشريف، وهما يتحدثان عن اقتحام مقر الأمن الوطني الكائن بالدور الرابع داخل قسم شرطة المعصرة.

وتحدث الشابان عن احتجاز عدد من أفراد الأمن الوطني لمدة تقارب ٥ ساعات، مطالبَين السلطات بفتح معبر رفح بشكل فوري لإنقاذ سكان غزة من المجاعة التي تهدد حياتهم.

وظهر أحد الشباب في الفيديو، وهو يتحدث لشخص محتجز خلف باب حديدي، ويؤكد له

أنه يعرف أنه لن يعود لمنزله، في وقت يطالبه شخص من خلف الباب أن يسمح له بالخروج ويطمئنه بأنه لن يتعرض لأذى.

وبعد ساعات من تداول الفيديو، قال مصدر أمني أن مقطع الفيديو، مفبرك.

ونشرت الصفحة الرسمية لوزارة الداخلية تصريحات على لسان المصدر الذي لم تسمه، قال فيها إن الوثائق التي تم تداولها في ذات الشأن، لا تمت بصلة للواقع. وحسب تصريحات المصدر، فإن أجهزة الأمن ألقت القبض على القائمين على إعدادها وترويجها.

واتهم المصدر، جماعة الإخوان بالدأب على تزييف الحقائق وترويج الشائعات للنيل من حالة الاستقرار التي تنعم بها البلاد وهو ما يعيه الشعب المصري.

وفي أعقاب نشر نفي وزارة الداخلية، نشرت منصات على موقع تليغرام، فيديو يتبنى فيه المنفذان العملية في بيان صوتي، مؤكدين أنهما لا ينتميان لأي جهة أو تنظيم سياسي، بل يمثلان، حسب وصفهما، «أحفاد عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص».

وقال أحدهما إن العملية تهدف إلى «إحياء موات شعب مصر الكريم ووقف الإبادة عن أهلنا في غزة»، فيما يبدو أن الفيديو سجل قبل العملية حيث أضاف أن العملية سيتم تنفيذها صباح يوم الجمعة الموافق ٢٥ يوليو/ تموز ٢٠٢٥، وأنه حال نشر الفيديو سيكونان قد ألقي القبض عليهما.

وتمت تسمية العملية بـ«الحديد ١٧»، حيث نُشر بيان تبنيها عبر حسابات داعمة على مواقع التواصل الاجتماعي.

الوعي: ما زال الخير في الأمة رغم كل التعتيم وكثرة الخيانات والخونة. إذ يوجد مقابل كل الخيانات كثير من المخلصين الذي يؤمنون بوحدة الأمة الإسلامية رغم كل العراقيل، لكنهم يحتاجون إلى إطار ومشروع ينظم جهودهم ويثمر طاقاتهم لإحداث عملية تغيير شاملة وجذرية تعيد للأمّة سلطانها تحت سيادة شرع الله.

وزير الخارجية السعودي: لا علاقات من كيان يهود قبل قيام دولة فلسطينية.

أكد وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان، أن بلاده لن تقيم علاقات مع (إسرائيل) قبل إقامة دولة فلسطينية، مشددًا على أنه «آن الأوان لإنهاء الصراع وتجسيد الدولة الفلسطينية»، معتبرًا أن «السلام بين إسرائيل وفلسطين يمثل مدخلًا أساسيًا لتحقيق سلام إقليمي شامل».

جاء ذلك خلال مؤتمر صحفي عقده على هامش أعمال المؤتمر الدولي رفيع المستوى بشأن التسوية السلمية للقضية الفلسطينية وتنفيذ حل الدولتين، في مقر الأمم المتحدة بمدينة نيويورك، وفق ما نقلته قناة «الإخبارية» السعودية.

الوعي: يخشى آل سعود صعود وعي الأمة الإسلامية الذي أصبح لا يقبل بأقل من فلسطين كاملة ومعها كل ديار المسلمين محررة من ربقة اليهود وعملاء الغرب من آل سعود وغيرهم، فيسارعون لاستجداء الغرب للقبول بشبه دويلة «فلسطينية» على مساحة صغيرة من فلسطين تخضع سياسيا وعسكريا لكيان يهود.

وفاة المعتقل السوري أسامة الجاعور في سجن رومية بلبنان

أعلنت يوم الأربعاء ١٣ آب/أغسطس وفاة المعتقل السوري أسامة الجاعور، المنحدر من مدينة القصير بريف حمص، داخل سجن رومية في لبنان. وبحسب مصادر من السجن فإن الجاعور خضع لظروف اعتقال قاسية وإهمال طبي متعمد أسفر عن تدهور حالته الصحية ووفاته.

وكان الجاعور قد اعتُقل في لبنان على خلفية دعمه ومشاركته بالثورة السورية، مع أنه لم يمارس أي نشاط في دولة لبنان التي لجأ إليها بعد سقوط بلدته القصير بمحافظة حمص وتهجير أهلها بالكامل عام ٢٠١٢ واحتلالها من قبل (حزب الله) اللبناني.

وإثر اعتقاله تنقل بين الأفرع الأمنية المتعددة في لبنان حيث تعرض للتعذيب الشديد، وفي عام ٢٠١٩ حكم عليه قاض لبناني بالسجن المؤبد، وإثر ذلك تعرض للتعذيب مما أفقده عقله حيث أودع زنزانة خاصة وترك لتتدهور صحته دون علاج ومن ثم ليموت.

الوعي: هذا هو حال المستضعفين الذين لا يجدون لهم نصيرا من الناس في الدول التي لا تقيم وزنا لخشية الله تعالى ولا لقيمة إنسانية ولا لقيمة خلقية، ولا تحترم حتى قوانينها التي تزعم التزامها، ولا مواثيق حقوق الإنسان وحقوق السجين التي وقعت عليها.

أضف إلى ذلك كله العنصريات الطائفية في النظام الطائفي البغيض في لبنان، حيث تتحكم العصبيات الطائفية بقرارات السياسيين والمسؤولين الأمنيين والقضائيين. ولا مخرج من هذا كله إلا بإقامة شرع الله الذي لا يميز في الرعاية والقضاء بين الناس، لا على أساس دياناتهم ولا مذاهبهم ولا أعراقهم.

الصين تعمق جريمة الإبادة ضد الأويغور!

عقدت الصين مؤخرًا اجتماعًا لمناقشة تعزيز جريمة احتلالها في تركستان الشرقية، وتكثيف أبحاثها المتعلقة بما يُسمى «إجراءات إدارة شينجيانغ» التي بدأت في السنوات الأخيرة. وقد أقيم هذا الاجتماع هذا الأسبوع في أورومتشي، بتنظيم من «رابطة العلوم الاجتماعية في منطقة الأويغور ذاتية الحكم» وجامعة شينجيانغ.

ووفقًا لتقرير من وكالة «تانريتاغ» الإعلامية الصينية في تركستان الشرقية، فقد عُقد في ٢٠ أغسطس في أورومتشي اجتماع النظرية السنوي لما يسمى «إجراءات إدارة شينجيانغ» الذي نظّمته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني. وألقى نائب مدير المكتب الثامن في قسم الوحدة التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، خو ليانه، تقريرًا عن أنشطة النظام الصيني في إدارة ومراقبة تركستان الشرقية. كما تحدث عدد من الخبراء الصينيين حول مواضيع مثل «التغذية الثقافية» وغيرها.

وأشار التقرير إلى أنه خلال فترة التحضير لهذا الاجتماع، استقبلت الجامعات، ومدارس الحزب، ومراكز البحث في الصين وتركستان الشرقية مقالات علمية علنية، حيث تم استلام ما مجموعه ٥٩٠ مقالة علمية تتعلق بما يسمى «إجراءات إدارة شينجيانغ»، وتم اختيار ٥٧ منها للمناقشة في الاجتماع، وقد تم منح شهادات تقدير لمؤلفي هذه المقالات.

في الآونة الأخيرة، تعمل الصين بشكل أكثر جدية لتعزيز الأسس النظرية لاحتلالها وارتكابها لجريمة الإبادة الجماعية في تركستان الشرقية، حيث أنشأت خلال الأشهر القليلة الماضية عدة مراكز بحثية متتالية. من بينها، في ١ أغسطس، أبرمت مدينة شوانغخي التابعة للفرقة الخامسة للإنتاج والبناء في شينجيانغ اتفاق تعاون استراتيجي مع أكاديمية العلوم الاجتماعية في شينجيانغ، وأعلنت عن تأسيس «معهد إدارة المناطق الحدودية التابع للفرقة الخامسة لأكاديمية العلوم الاجتماعية في شينجيانغ». وفي أبريل من هذا العام، أنشأت جامعة السياسة والقانون التابعة لشرطة شينجيانغ «معهد إدارة شينجيانغ بالقانون» في مركز تدريب شرطة شينجيانغ.

الوعي: الصين تضفي على جرائمها المنهجية في إبادة المسلمين الإيغور في تركستان الشرقية الطابع العلمي والأكاديمي. لو كان للمسلمين دولة تنتمي إليهم وتتبنى قضاياهم هل كانت الصين لتتجرأ عليهم هذه الجرأة التي قل نظيرها في التاريخ؟!

فتنة غزة

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت: ١-٣].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «وَقَوْلُهُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسْبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي الْبَلَاءِ**».

ما خلق الله بشرًا إلا ووضع أمامه فتنًا على قدر إيمانه ليعلم الله من يصبر على تلك الفتن ويتوكل على الله فينجيه الله منها ومن يسقط فيها، وإنما يسقط بسوء تقديره وتهاونه بأوامر الله وخفة إيمانه.

ومن هذه الفتن التي ابتليت بها الأمة كلها اليوم فتنة غزة وما يجري فيها وموقف المسلمين منها في مشارق الأرض ومغاربها. فالكثير من المسلمين -ونقصد هنا المسلمين وليس المنافقين ولا المطبعين ولا المتخاذلين ولا من سار على دربهم- يقولون: لو لم تفعل حماس ما فعلت لما حصل ما حصل ولما حصلت هذه المقتلة العظيمة في أهلها، ومن ثم خراب ديارها وجوع أهلها، لسانهم يقول بكل وضوح: «كانوا عايشين»، وكأن الانسان المسلم خُلق ليأكل وليتكاثر كما تفعل البهائم -أجلكم الله- وهذا بالتأكيد ليس واقع المسلمين ولا هو من أهدافهم، إلا من ارتضى أن يعيش عيشة البهائم فهذا لا نحسبه من المسلمين الواعين الساعين لأخذ عزتهم وكرامتهم من أعين أعدائهم. ضرب الله لنا مثلين قريبين قبل أحداث غزة وأثناءها لتكون للناس عبرة، ففي ٦ شباط/فبراير عام ٢٠٢٣ دمرت مناطق في تركيا وسوريا تدميرًا شبه تام، وهما منطقتا قهرمان ومرعش، بزلزال عظيم أدى إلى سقوط مئات المباني السكنية فوق رؤوس أصحابها في المنطقتين، وكان الضحايا بالمئات حيث بلغ عدد الضحايا في الجانب التركي ٤٤٢١٢ قتيلًا وفي الجانب السوري بلغ عدد الضحايا ٥٩١٤ قتيلًا، بما مجموعه أكثر من خمسين ألف قتيل في ثوان معدودات! وبعدها بليلتين ليلة ١٠ و١١ أيلول/سبتمبر حصل انهيار كارثي لسدين مائيين في منطقة درنة الليبية في أعقاب عاصفة دانيال ما أدى إلى تدفق حوالي ٣٠ مليون متر مكعب من الماء باتجاه منازل الناس في مجرى ذلك النهر، ما أدى إلى وفاة حوالي ٤٣٣٣ شخصاً، وهي حصيلة غير نهائية لتلك الكارثة المؤلمة، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يرحمهم جميعًا.

من هنا نفهم أن الناس، بأفرادهم ومجموعهم، معرضون في أية لحظة إلى أن يموتوا بطرق شتى، فمن ماتوا في الزلزال ومن ماتوا في الفيضان لم يكونوا في ساحات القتال، وما كانوا يرفعون سلاحهم بوجه أعدائهم، بل كانوا نائمين مطمئنين حالمين بيوم غد جميل، فلماذا ماتوا هكذا دفعة واحدة؟ تلك مشيئة الله عز وجل، فهو يدبر أمر عبيده كما يشاء وبالكيفية التي يشاء، لذلك فالعدد الكبير من شهدائنا في غزة ليس سببًا لكي نلوم المجاهدين هناك على ما قاموا به من إذلال للعدو وتحطيم جميع مستوياتهم الدفاعية، وأخذ أسرى منهم بالقوة، وقتل عدد كبير من جنوده الجبناء، وكشف عورة دويلة الخنازير الهشة والتي ما كانت لها أن توجد وتبقى لولا تآمر حكام المسلمين وخيانتهم في هذه المنطقة، ومَن وراءهم أيضًا من الحكام الخونة الذين يتحكمون ببلاد المسلمين. فمن مات من المسلمين في غزة إنما مات بانتهاء أجله الذي كتبه الله له بلا زيادة أو نقصان، مع نيله شرف الشهادة على يد عدو جبان غادر. ومن يعترض على كثرة القتلى، نقول له: كان من الممكن أن يموت كل هؤلاء بزلزال كزلزال تركيا، أو يموتوا غرقًا بتسونامي مرعب كما حصل قبل سنوات في إندونيسيا؛ حيث قتل في ذلك التسونامي حوالي ٢٢٧ ألف شخص. فعدد الشهداء في غزة ليس مبررا لنعترض على أمر الله عز وجل في تدبير شؤون عبيده في هذه الدنيا. من هنا يجب أن نبحث عن ذاتنا نحن في هذا المصاب الجلل؛ هل أنا مفتون بغزة واقف معها، أم أنا مفتون بها ومتخاذل عنها وألوم أصحابها وأطعن بهم وبأفعالهم وأقلل من شأن ما قاموا به؟

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه

نداء للأمة وجيوشها:غزة تنادي فمن يلبي وينتصر لحرمات الله؟

كشفت صحيفة يسرائيل هيوم عن أن المجرم ترامب قد أمر نتنياهو بتسريع العمليات العسكرية في غزة، ومنحه الضوء الأخضر لاحتلالها بالكامل. وهذا الضوء الأمريكي ليس إلا شهادة جديدة على أن أمريكا شريكة مباشرة في دماء أهلنا في غزة، وهي العدو الأول للأمة، الحامية للكيان الغاصب، والراعية لجرائمه.

عامان من العدوان الوحشي، وتدمير منهجي للبنية التحتية، وحصار وتجويع مقصود، ومجازر جماعية وتهجير قسري. وعلى الرغم من ذلك، فشل العدو في إخضاع غزة، لكنه لم يتوقف، بل جاءه الدعم الأمريكي ليواصل القتل والتهجير، إلى جانب أنظمة خائنة تحرس حدوده وتطبع معه، وعلى رأسها حكام مصر والأردن.

أيها المسلمون:

لقد قال الله تعالى:﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٩].

إن الواجب الشرعي اليوم هو:

قطع كل علاقة بأمريكا: لا سفارات، ولا قواعد، ولا شركات، ولا مصالح.

وتحريك الجيوش فورًا لتحرير غزة وفلسطين من النهر إلى البحر.

وإسقاط الأنظمة العميلة التي تحمي الكيان وتكبّل الأمة.

وإقامة الخلافة الراشدة التي توحّد المسلمين تحت راية واحدة، وتقاتل عدو الأمة قتالًا لا يوقفه إلا النصر أو الشهادة.

أيها الضباط والجنود:

إن خيانة الحكام لا تبرئ ذمتكم، بل تُحمّلكم الوزر إذا سكتّم، فأنتم أولى الناس بالتحرك لاقتلاع الاحتلال وإسقاط العملاء.

أيها العلماء والدعاة وأهل الرأي:

حركوا الأمة، وعبئوها، وحرضوا على الجهاد، ولا تخشوا في الله لومة لائم.

يا شعوب الأمة:

املؤوا الميادين، وحاصروا القصور، وأغلقوا سفارات العدو الأمريكي والصهيوني، واطردوا كل نفوذ لهم من بلادكم.

إن غزة اليوم تناديكم، والمسجد الأقصى يستغيث، والدماء تصرخ، ألا فلبوا نداء الله، ولا تتأخروا؛ فمن نهض عزّ، ومن تخلف ذلّ، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

الموقع الرسمي لمجلة الوعي: http://www.al-waie.org

الحساب الرسمي لمجلة الوعي على الفيسبوك: https://www.facebook.com/alwaie.info

الحساب الرسمي لمجلة الوعي على إكس (التويتر): https://x.com/alwaiemagazine

القناة الرسمية لمجلة الوعي على الانستغرام: https://www.instagram.com/alwaiemagazine/

عنوان المجلة على الديلي موشن: https://www.dailymotion.com/alwaiemagazine